رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

د. محمد شلبي هشيوي

مقارنة الأديان

التوراة

دراسة وتحليل

مكتبة الفلاح
الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التوراة
دراسة وتحليل

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقارنة الأديان

التوراة
دراسة وتحليل

د/ محمد شلبي شتيوي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

مكتبة الفلاح
الكويت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م

مكتبة الفلاح الكويت

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
ص.ب ٤٨٤٨ تلفون : ٢٦٤٧٧٨٤
برقياً : لغاتكو

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعتبر التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ من أقدم الكتب السماوية التي نص عليها القرآن الكريم ، بل هي في رأي الشهرستاني من أقدم الكتب السماوية عموما ـ سواء منها ما ورد ذكره في القرآن ومالم يرد ـ إذ أن ما قبلها كان يسمى صحفا[1] .

والمعلوم من الدين بالضرورة أن التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ كانت توراة واحدة ، لكنها الآن أكثر من ذلك ، فهناك التوراة العبرية ، والتوراة السامرية ، والتوراة اليونانية ، وغير ذلك من الترجمات المختلفة التي قد يكون فيها الكثير من التضارب والتناقض وذلك بسبب اختلاف اللغات فيما بينها من حيث المفردات والمترادفات ثراء واضمحلالا .

وأهل الكتاب مختلفون حول هذه النسخ الثلاث ، فالمؤمنون بتوراة من تلك النسخ يرونها هي الصحيحة فقط ، أما غيرها فمحرف ومزيف ، وكل فريق يدعى أن التوراة التي معه هي التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ أما غيرها فنسخ موضوعة نسبت إلى موسى كذبا وزورا .

فلما تعددت التوراة لزم معرفة السبب في هذا التعدد ، والعلاقة بين هذه

---

(١) الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني) ، الملل والنحل (الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة) ج ٢ ص ٤١ .

النسخ ، والعلاقة بينها وبين التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام .

ولما كنا نحن المسلمين مطالبين بالإيمان بالتوراة إقتضى الأمر تجلية الموقف وتوضيح الحقيقة ومعرفة سند هذه التوراة الجديدة وصحة متنها حتى يتسنى لنا التصديق بهذه أو بتلك أو رفض الجميع ، فالقرآن قد حكم بأن التوراة هدى ونور ، كما حكم بأنها محرفة ، فلزم دراسة هذه التوراة حتى نعرف حقيقتها ونبين صلتنا بها .

وإذا كان القرآن قد نسب التحريف إلى التوراة ، فما سبب هذا التحريف ؟ وما دليله ؟ وأي أنواع التحريف قد وقع في التوراة ؟

وهذه التوراة التي حكم القرآن بتحريفها ، ما موقف أهلها منها الآن ؟ وهل الكل مصدق بالتوراة التي في عصرنا الحاضر ؟ أم أن الناس مختلفون في هذا ؟ فمنهم من يؤمن ومنهم من لا يؤمن ؟

وهذه التوراة التي ظهرت بعد موسى ، متى كتبت ؟ ومن كاتبها ؟ وما مصدرها ؟ وكيف وجدت التوراة بعد ضياعها ؟ وكيف وجدت مع هدم الهيكل ؟ وتدمير بيت المقدس مرات متعددة ؟

هذه بعض الأفكار والتساؤلات التي سأستعين بالله وأقوم ببحثها ودراستها وبيان القول الحق فيها وذلك من خلال هذا البحث .

وسيكون منهجي في هذه الدراسة مرتكزا على أمرين أساسيين هما :

١ ــ السند والنقل .

٢ ــ المتن والنص .

فأما عن الأول فسأتتبع التوراة تاريخيا ، متى فقدت التوراة التي نزلت على

موسى ـ عليه السلام ـ ؟ ومتى ظهرت توراة حلقيا ؟ وتـوراة عزرا بعـد ذلك ؟ ثم من هم كتبة هذه التوراة الجديدة ؟ وهل كانت كتاباتهم مؤيدة بـالإلهام ؟ أم أنها كانت كتابات شخصية خـاضعة لتـأثيرات الحيـاة الدنيـوية ونـوازع النفس البشرية ؟

أما عن المرتكز الثاني فسأتتبع نصوص التوراة حتى نتبـين هل النصـوص صحيحة صادقة ؟ أم أنها محرفة مبدلة ؟ وإذا كانت محـرفة فكيف تم هـذا ؟ ثم بعد هذا نعطي فكرة عن التوراة نصا ومتنا وذلك باستعراض بعض ما فيها عن الله وعن الرسل والأنبياء . . . الخ .

حديث القرآن عن التوراة التي نزلت على موسى [1]

التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ من أهم الكتب التي نزلت على أنبياء بني إسرائيل . فقد احتوت من قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب الشيء الكثير الذي ينفع بني إسرائيل في عقيدتهم وحياتهم الدينية والدنيوية .

ولقد اهتم القرآن الكريم بالتوراة فبين حقيقتها وأهميتها وفائدتها ، وما كان من بني إسرائيل تجاهها إيمانا وتصديقا ، وعملا وتطبيقا .

فالقرآن الكريم ـ آخر الكتب السماوية ـ قد صدق بالتوراة التي نزلت على موسى واعترف بأنها وحي إلهي ، لذلك كانت فيها الهداية ، وكان فيها الصلاح والفلاح ، وهي بحق نور وضياء ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [2] .

ولما أراد بنو إسرائيل أن ينحرفوا عن الحق ويبتعدوا عن حكم الله الحق الذي أودعه التوراة ، وأرادوا أن يتركوا العمل بما فيها ، لما أرادوا ذلك وبخهم الله على هذا الانصراف والانحراف مذكرا إياهم بأن هذه التوراة فيها النور

---

(١) التوراة لفظ عبري معناه التعليم والشريعة ، وتطلق التوراة ويراد بها الأسفار الخمسة التي نزلت على موسى عليه السلام ، وهذا إطلاق حقيقي ، ولكن يطلق لفظ التوراة ويراد به مجموع كتب العهد القديم ، وحينئذ يكون الاطلاق مجازيا .

(٢) آل عمران / ٣ .

وفيها الهداية فعليهم الحكم بما فيها لأن من لم يحكم بكتاب الله يكون كافرا ، قال سبحانه :

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ[1] وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2]

فهذا الحديث من القرآن عن التوراة فيه اعتراف وتصديق بهذا الكتاب الذي أنزله الله وحيا على نبيه موسى عليه السلام .

وعموما فإن كلمة التوراة وردت في القرآن الكريم ثماني عشرة[3] مرة ،

---

(١) كانوا يتمنون أن يحكم الرسول ـ ﷺ ـ بحكم مخالف لما عندهم في التوراة ، ولكن لأن القرآن وحي إلهي كان متفقا مع التوراة في حكم الزنا ، فلما أفتاهم الرسول بما عندهم في التوراة تولوا وأعرضوا .

(٢) المائدة : ٤٣/٤٤ .

(٣) وهذه الآيات هي :

١ ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾
(آل عمران : ٣/٤) .

٢ ـ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾
(آل عمران / ٤٨) .

٣ ـ ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾
(آل عمران / ٥٠) .

٤ ـ ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾
(آل عمران / ٦٥) .

٥ ـ ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾
(آل عمران / ٩٣) .

أثبت فيها القرآن تصديقه بالتوراة ، واعتراف عيسى ـ عليه السلام ـ بهذه التوراة ، كما بين القرآن وقت نزول التوراة ، فهي لم تنزل على أحد من الرسل

---

٦ ـ ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾
(آل عمران / ٩٣) .

٧ ـ ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ﴾
(المائدة / ٤٣) .

٨ ـ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾
(المائدة / ٤٤) .

٩ ـ ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾
(المائدة / ٤٦) .

١٠ ـ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾
(المائدة / ٤٦) .

١١ ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾
(المائدة / ٦٦) .

١٢ ـ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾
(المائدة / ٦٨) .

١٣ ـ ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴾
(المائدة / ١١٠) .

١٤ ـ ﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾
(الأعراف / ١٥٧) .

١٥ ـ ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾
(التوبة / ١١١) .

١٦ ـ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾
(الفتح / ٢٩) .

١٧ ـ ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾
(الصف / ٦) .

١٨ ـ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾
(الجمعة / ٥) .

قبل موسى عليه السلام .

وهذه التوراة التي نزلت على موسى فيها الخير والبركة ، وفيها الرزق الوفير والعطاء الكثير إن حافظ عليها أهلها وعملوا بما فيها من أمور العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب .

كما سجل القرآن على اليهود وجود صفات الرسول محمد ـ ﷺ ـ في التوراة فهم يقرءونها وبذلك يعرفون الرسول محمدا كما يعرفون أبناءهم ، فعليهم اتباعه والائتمار بأمره والانتهاء عما نهى عنه ، وقد ذم القرآن اليهود لأن الله أعطاهم التوراة هدى ونورا فلم يعملوا بما فيها وحرفوها وبدلوا فيها وكتموا الحق الذي أودعه الله في هذا الكتاب السماوي .

وبهذا يكون القرآن قد أثبت صدق التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وأكد صحتها ، وهذا إنصاف للتوراة التي أنكرها أهلها في كثير من الأحيان ، إما إنكارا صريحا وذلك بارتدادهم عن الدين الحق وعبادتهم للأصنام ، وإما بتبديلها وتأويلها على غير ما أنزل الله والحكم برأي الأحبار والرهبان .

والقرآن بهذا الحديث عن التوراة قد أعلى قدرها ورفع من مكانتها بعد أن أهملها أهلها وائتمروا بحكم علمائهم وربانييهم .

ولكن هل التوراة التي أعلى القرآن قدرها وشهد بصحتها هي التوارة التي بأيدي اليهود الآن ؟ وهل يمكن أن يعترف القرآن بصحة توراة وصفت المولى عز وجل بصفات لا تليق بجلاله وكماله حيث جسمته وشبهته بالبشر ؟ وهل يقر القرآن بتوراة وصفت الرسل بأحقر الصفات وأخس الأخلاق وذميم الخصال ؟

الصحيح أن القرآن الكريم حين اعترف بالتوراة وصدق بصحتها فتلك التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ أو أي توراة أخرى فيها الحق الذي نزل على موسى ، وحين أثبت القرآن أن بالتوراة تحريفا وأن اليهود نسوا بعضها وكتموا بعضها فذلك إما توراة أخرى غير التي نزلت على موسى مما كتبه الأحبار والرهبان ، أو توراة فيها شيء مما نزل على موسى وشيء مما أضافه الأحبار والربانيون .

وعلى هذا فلا يلزم من وصف التوراة بأنها هدى ونور ، ومن مطالبة اليهود بالحكم والعمل بما فيها بأن تكون كل توراة صحيحة ـ كما يدعي البعض هذا ـ أو أن تكون التوراة التي بأيدي الناس وقت نزول القرآن هي بعينها التوراة التي نزلت على موسى تماما بتمام فذلك أمر اتفق المسلمون على خلافه ، كما سجل التاريخ في سجلاته أن توراة موسى قد ضاعت وكتبت توراة ، وتوراة ، وتوراة .

وإذ عرفنا رأي القرآن في التوراة فما موقف المسلم من التوراة ؟

موقف المسلم من التوراة

من الأسس الأولى التي يجب على المسلم أن يصدق بها ، أركان الإيمان ، ومن هذه الأركان الإيمان بالكتب السماوية : التوراة ، الزبور ، الإنجيل ، القرآن ، صحف إبراهيم وموسى .

وإنما وجب على المسلم أن يؤمن بالكتب ـ ومنها التوراة ـ لأمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن القرآن طالب المسلم بالإيمان بهذه الكتب حيث قال سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾[1]

فالكتاب الأول هو القرآن الكريم ، والكتاب الثاني جنس يشمل كل كتاب نزل قبل نزول القرآن على محمد ـ ﷺ ـ .

الأمر الثاني : أن القرآن حذر المسلم من الكفر بأي كتاب من الكتب السماوية وتوعد كل منكر لها أو لبعضها أو لجزء من أحدها بالعذاب والعقاب الشديد فقال :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[2]

الأمر الثالث : أن اسم التوراة جاء في القرآن الكريم على جهة التصديق بها والاعتراف بصحتها . وهذا يوجب على المسلم التصديق بالتوراة التي نزلت

---

(١) النساء / ١٣٦ .

(٢) النساء / ١٣٦ .

على موسى ـ عليه السلام ـ واعترافه بها لأنه لو أنكرها فإنه يكون منكرا لآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن التوراة . وإنكار هذه الآيات كفر وبهتان عظيم .

وإيمان المسلم بالتوراة ينصب تلقائيا على التوراة التي نزلت على موسى ، فإذا قال المسلم أنا مؤمن ومصدق بالتوراة فهذه هي التوراة التي نزلت وحيا من الله على نبيه موسى ـ عليه السلام ـ دون نظر إلى أن للسامريين توراة ، أو للعبرانيين توراة ، ودون نظر إلى ما سواها من أسفار العهد القديم الأخرى ، كتلك الأسفار التي تنسب إلى أرميا أو أشعيا أو القضاة أو الملوك . . إلخ فهذه وغيرها من الصحف لم يرد لها ذكر في القرآن أو في السنة النبوية الشريفة، لذلك فالمسلم يتوقف في أمر هذه الكتب فلا يصدق مطلقا ، ولا يكذب مطلقا ، لأنه لا يعرف حقيقة هذه الأسفار ، فلعلها ليست أسفار أنبياء ونسبت إلى أنبياء الله ترويجا لها وتمويها على الناس ، فلو صدقها فإن هذا يكون تصديقا لكاذب ، ولعل منها أسفار لبعض أنبياء الله فلو كذبها فإن هذا يكون تكذيبا لصادق ، والحادثة التالية تحدد موقف المسلم ومنهجه في مثل هذا الأمر ، فلقد جاء رجل من اليهود إلى رسول الله فقال يا محمد هل تتكلم الجنازة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ ، الله أعلم ، قال اليهودي أنا أشهد أنها تتكلم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ ، « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم . وإن كان باطلا لم تصدقوهم » .

هذا هو موقف المسلم من التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ ومن كتب العهد القديم كلها ، ولكن أين توراة موسى الآن ؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ، جـ ٤ ص ١٣٦ .

تاريخ التوراة

أولاً : توراة موسى

يبدأ تاريخ التوراة باختيار الله لموسى رسولا إلى بني إسرائيل وتلقيه كلام الله سبحانه وتعالى بعد أن أتم ميقات ربه أربعين ليلة ، قال عز وجل :

﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾[1]

قال الزمخشري : « روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون ، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمر بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة ، فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك ، وقيل أوحي الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ؟ فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك . . . ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها »[2] .

وتحكى أسفار[3] التوراة أنه لما نزلت التوراة على موسى جاء قومه وكتب

---

(١) الأعراف / : ١٤٢ / ١٤٣ .

(٢) الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان) جـ ٢ ص ١١١ .

(٣) المفروض أن التوراة نزلت جملة واحدة ، فكيف تحكي ما حدث بين موسى وقومه من الوصاية بها والمحافظة عليها وهي قد تم نزولها وانتهى ذلك الأمر ؟ مثل هذه النصوص هي مما يستند

لهم ما أوحاه الله إليه وأوصاهم بالمحافظة عليها والعمل بما فيها ، تقول التوراة : « جاء موسى وقص على الشعب جميع كلام الرب وجميع الأحكام فأجابه جميع الشعب بصوت واحد وقالوا جميع ما تكلم به الرب يعمل به فكتب موسى جميع كلام الرب وبكر في الغداة وبنى مذبحا في أسفل الجبل ونصب إثني عشر نصبا لاثني عشر سبط بني إسرائيل وبعث فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات ، وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب ، فأخذ موسى نصف الدم وجعله في طسوت ورش النصف الآخر على المذبح ، وأخذ كتاب العهد فتلا على مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي عاهدكم الرب به على جميع الأقوال »[1] .

فلما كتب موسى التوراة وأوصى الشعب بالمحافظة عليها والعمل بما فيها ، أعطى هذه التوراة إلى الكهنة من بني لاوي ليكونوا مسئولين عنها ، يحافظون عليها من التعدي ، ويقرأونها على الشعب ، وسفر التثنية يقص هذا الأمر فيقول :

« ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة في سفر بتمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم : خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون ثم عليكم شاهدا لأني أعلم تمردكم وقساوة رقابكم فإنكم وأنا في الحياة معكم اليوم قد تمردتم على الرب فكيف

عليه القائلون بكتابة توراة أخرى غير التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام .

(١) سفر الخروج ٢٤ : ٣ ـ ٩ ، والنص يوحي بأن موسى لم يكتب هذا السفر وإنما كتبه غيره ونسبه إلى رسول الله ، فمثلا « جاء موسى » « وقص موسى » « فكتب موسى » « وبكر في الغداة » إلخ هذه كلها جمل تشهد لما قلناه .

بعد موتي »[1] .

ومضمون هذه النصوص من التوراة يدل على أن موسى ـ عليه السلام ـ حين نزلت عليه التوراة كتبها بتمامها ثم أخذ العهد على الشعب بالمحافظة عليها والعمل بما فيها ، ثم سلمها للكهنة ليكونوا مسئولين عنها ، وذلك لأن بني إسرائيل كانوا دائمي التمرد ، يستبد بهم القلق ، ولا يثبتون على حال ، وخوفا من تمردهم على الله وعلى كلامه تعالى ، أمر موسى بوضع هذه التوراة في التابوت وأمر الكهنة بالمحافظة عليها ، وهذا يعني أن التوراة لم تكن مشاعة للجميع ، ولم تكن بيد الشعب يحفظها ويتدارسها ويقرؤها في أي وقت يشاء ، وتصويرا لهذا النظام الديني عند أهل التوراة يقول ول ديورانت : « لقد كان تابوت العهد المحتوي على ملفات السنن والذي لم يكن يسمح لأحد بأن يمسه ، كان هذا التابوت رمزا لطبيعة العقائد اليهودية ، ولما مد عزة الصالح يديه إلى التابوت ليمنعه أن يسقط على الأرض وأمسكه لحظة قصيرة (حمى غضب الرب على عزة وضربه الرب هناك لأجل أنه مد يده إلى التابوت فمات هناك أمام الله »[2] . « وضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب »[3]

لقد كانت عقيدة دينية عند جميع بني إسرائيل أن من يمس التابوت يغضب الرب عليه ، وليس على اليهودي إلا أن يعلم أنه ليس من حقه أن يفتح التابوت كيف يشاء ، ويأخذ التوراة حين يشاء ، وعليه أن يخضع لأوامر الكهنة ويلتزم بالنظم التي وضعوها لقراءة التوراة تبعا لما أمر به موسى ـ عليه

---

(١) سفر التثنية ٣١ : ٢٤ ـ ٢٧ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٤ .

(٣) سفر الملوك الأول ، الفصل السادس .

السلام ـ فإنه حين وضع التوراة في التابوت أعطى بني إسرائيل سورة واحدة فقط ، وهي التي جاء ذكرها في التوراة : « وكتب موسى هذه السورة وعلمها بني إسرائيل » وإنما إختار موسى هذه السورة بعينها لتكون شاهدة على بني إسرائيل لأنها كانت مشتملة على ذم طبائعهم ، مخبرة بما سيحدث منهم من تمرد على الله تعالى وإهمالهم الشريعة ، وسخط الله عليهم ، وتملك الخصم منهم وتشريده إياهم في بقاع الأرض[1] .

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى ألا ينسى بنو إسرائيل هذه السورة أبدا ، فقد جاء في التوراة : « إن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم » .

ولعل احتمال نسيان بني إسرائيل للتوراة ـ بجانب تمردهم على الله وقساوة رقابهم ـ هو الذي جعل موسى متخوفا منهم . فنسيان الشيء يؤدي إلى إهماله وبالتالي ضياعه . وحتى لايكون هذا . وضع موسى التوراة في التابوت وأمر الكهنةمن بنيلاوي بالمحافظة عليها « وإخراجها إلى الناس بعد كل سبعة سنين في يوم العيد لأجل سماع بني إسرائيل »[2] يقول سفر التثنية :[3]

« وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى الكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب وسائر شيوخ إسرائيل وأمرهم موسى قائلا في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال حينما يأتي جميع إسرائيل ليتمثلوا لدى الرب وإلهكفي الموضع الذي يختاره تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع

---

(١) إبن القيم . (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر) ، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (نشر مكتبة الدعوة الإسلامية بالقاهرة) جـ ٢ ص ٣٥٢ .

(٢) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق (تحقيق عمر الدسوقي) ، طبع الشئون الدينية بدولة قطر) جـ ١ ص ٤٨٨ .

(٣) سفر التثنية ٣١ : ٩ ـ ١٢ .

إسرائيل ، إجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في مدنك لكي يسمعوا ويتعلموا » .

وبذلك تمت كتابة التوراة ووضعت في التابوت وأصبحت تحت يد اللاويين وفي مسئوليتهم يتوارثون حفظها وقراءتها على شعب بني إسرائيل جيلا بعد جيل ، يسيرون في هذا تبعا للنظام الذي أمرهم به موسى عليه السلام .

وفي عهد سليمان ـ عليه السلام ـ جيء بالتابوت لفتحه وإخراج التوراة لقراءتها على الناس فلم يجدوا إلا « اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريت حيث عاهد الرب بني إسرائيل وأخرجهم من أرض مصر »[1] .

وإنطلاقا من اشتياق شعب بني إسرائيل لمشاهدة التوراة فالعقل يرجح حضور جميع بني إسرائيل أو على الأقل جمع غفير منهم لمشاهدة التوراة وحضور قراءتها ، وبذلك يكون أغلب بني إسرائيل قد عرفوا بضياع التوراة ، وبالأخص الحكام والسادة والكهنة والعلماء .

وأصبح بنو إسرائيل من ذلك الوقت شعبا بلا كتاب ديني ، وبلا وحي إلهي ، فلقد ضاعت التوراة ، وسابقا قلنا إن هذه التوراة لم تكن مع الجميع ولم تكن مشاعة للكل ، وإنما كان يظهرها الأحبار كل سبع سنين .

وبضياع التوراة ـ التي لم يحفظها أهلها في صدورهم تبعا لحفظ التوراة في التابوت وعدم إخراجها إلا كل سبع سنين ـ إنقطعت سلسلة السند في نقل التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وحيا إلهيا من الله تعالى .

واستمر ضياع التوراة وفقدها وانقطاع سلسلة سندها من فتح سليمان ـ

---

(١) سفر الملوك الأول ٨ : ٩ .

عليه السلام ـ للتابوت حتى مضي سبع عشرة سنة من حكم يوشيا ، ففي هذه الفترة لم يظهر للتوراة أثر ، ولم يسمع أحد بوجود نسخة من توراة موسى ، وإستمرت سلسلة السند منقطعة ، واستمرت التوراة مفقودة إلى أن كان العام الثامن عشر من حكم يوشيا وفيه ظهرت توراة جديدة .

ويجمع كل المؤمنين بالتوراة من أهل الكتاب على أن توراة موسى كانت خمسة أسفار : ١ ـ التكوين ٢ ـ الخروج ٣ ـ اللاويين ٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية ، ويرى بعض الباحثين أن تسمية الأسفار الخمسة بهذه الأسماء تسمية لاحقة ، فلم يكن كل سفر معروفا باسم خاص[١] .

وبغض النظر عن كون مافي هذه الأسفار من تصنيف موسى أو من تصنيف غيره ، فإن لكل سفر من هذه الأسفار طابعه الخاص الذي يميزه عن بقية الأسفار في كثير من الأمور ، لذلك فمن المستحسن إعطاء فكرة مختصرة عن كل سفر من هذه الأسفار الخمسة :

١ ـ سفر التكوين

وقد سمي بهذا الإسم لاشتماله على كيفية خلق العالم ، كيف بدأ الله الخلق ؟ وكيف خلقت الأرض والسماء ؟ وكيف خلق الله الإنسان ؟ كيف كان الإنسان الأول في الجنة وكيف خرج منها ونزل إلى الأرض ؟

وقد ضم هذا السفر إلى جانب قصة الخلق ، حديثا عن حياة آدم مع أولاده وقتل قابيل لهابيل ، وقصة الطوفان ، وتاريخ حياة إبراهيم وإسحاق

---

(١) د / فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة) ص ٣٩ .

ويعقوب والأسباط ودخولهم إلى مصر وحياتهم فيها إلى أن مات يوسف عليه السلام .

وسفر التكوين بهذا سجل تاريخي أرخ للفترة التي تبدأ بخلق العالم إلى أن مات يوسف عليه السلام بأرض مصر .

ولقد تتبع الباحثون هذا السفر بالتحقيق والتدقيق فرأو أن كثيرا منه ـ إن لم يكن كله ـ ليس من تصنيف موسى عليه السلام ، وذلك لاشتماله على أقوال وأفعال نسبت إلى الله تعالى وإلى أنبيائه الكرام لا يعقل أن تصدر عن الله ولا عن الرسل الكرام .

فهذا السفر يحكى حادثة طويلة دارت بين إسحاق وابنيه عيسو ويعقوب ، فيذكر أن يعقوب استغل ضعف بصر أبيه واحتال عليه حتى دعا له إسحاق وقال له : « يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ، يكثر لك الحنطة والخمر ، وتخدمك الأمم ، وتسجد لك القبائل ، سيدا تكون لإخوتك ، ولك بنو أمك يسجدون ، لاعنك ملعون ، ومباركك مبارك »[1] .

وقد كان سبب هذا الدعاء أن إسحاق طلب من ابنه عيسو أن يتصيد له صيدا ويصنع له طعاما حتى يباركه ، فسمعت بهذا الحديث رفقة أم يعقوب، فطلبت من ابنها أن يصنع هو الطعام ويلبس ملابس أخيه عيسو ويتقدم بالطعام لأبيه حتى يكتسب هو هذه المباركة وهذا الخير الذي يدعو به أبوه له ، وفعل يعقوب ما أشارت به أمه وتقدم بالطعام وناوله لأبيه على أنه هو عيسو ، فدعا له إسحاق بالبركة والخير وأن تكون الأمم خادمة له والجميع يسجد لهذا الإبن الذي أعطاه هذا الطعام وجاءه بهذا الصيد .

---

(١) سفر التكوين ، الإصحاح ٢٧ : ٢٨/٢٩ .

وهكذا احتال يعقوب على أبيه وأخذ حق أخيه بمساعدة أمه رفقة التي فرقت بين ابنيها وفضلت الأصغر منهما على الأكبر ، فهل يعقل اتصاف نبي من أنبياء الله بهذه الخلق التي يأباها صاحب النفس الأبية فضلا عن أن يكون رسولا نبيا ؟

من هنا ـ وبسبب أقوال وأفعال أخرى فاسدة وباطلة ـ حكم العلماء بأن سفر التكوين ليس من تصنيف موسى عليه السلام .

٢ ـ سفر الخروج

وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه يحكي قصة خروج بني إسرائيل من مصر ، ويؤرخ هذا السفر للفترة التي كانت بعد موت يوسف ـ عليه السلام ـ حتى دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان . ويضم هذا السفر كثيرا من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية ، ووصفا لما كان من بني إسرائيل مع الإله « يهوه » كما اشتمل سفر الخروج على الوصايا العشر التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، وكيف كان صعود موسى جبل الطور وتلقي كلام الله تعالى .

وفي هذا السفر بعض الآيات التي أخذها العلماء والباحثون دليلا على عدم تصنيف موسى لسفر الخروج ، كتلك الآية التي تقول بأن الله أمر بني إسرائيل بسلب المصريين والاستيلاء على ما معهم من ذهب وفضة وثياب ووضعها على أبنائهم وبناتهم[١] ، وكتلك الآية التي تنسب إلى هارون موافقته على صنع العجل وعبادته من دون الله وأن هارون قد شاركهم في هذا الجرم الشنيع[٢] .

---

(١) سفر الخروج ، الإصحاح ٣ : ٢١/٢٢ والإصحاح ١٢ : ٣٥/٣٦ .
(٢) سفر الخروج ، الإصحاح ٣٢ : ١ ـ ٨ .

٣ ـ سفر اللاويين

وقد اكتسب هذا الإسم نسبة إلى أسرة لاوي التي أعطاها موسى تابوت العهد وحملهم مسئولية الحفاظ على التوراة ومدارستها لبني إسرائيل .

وهذا السفر يتميز عن بقية الأسفار باقتصاره على التشريعات والكفارات ، والبشارات والإنذارات ، والطقوس والأعياد ، والمحرمات من الأنكحة والأطعمة .

وقد تعرض هذا السفر للنقد مثل سابقيه ، فقد نسب إليه أيضا أنه قد لعبت به أيدي الكهنة والنساخ فأضافوا ما لا يعقل أن يكون صادرا عن الله تعالى ، أو أن يكون موسى قد كتبه بيديه ، فهذا السفر يميز بني إسرائيل عن بقية الأمم والشعوب ، ويرفعهم قدرا ومكانة على غيرهم من الناس فيقول : « أنا الرب إلهكم الذي فرزكم من بين الأمم . . كونوا لي قديسين لأني قدوس ، أنا الرب وقد فرزتكم من الأمم لتكونوا لي »[1] والله للجميع وليس للشعب دون شعب ، ولا لأمة دون أمة .

كما قص هذا السفر أحداثا لا يصح وقوعها إلا بعد موسى ، فقد قص الغزوات والضربات الخارجية التي حلت ببني إسرائيل ، وتشتتهم ثم جمعهم ولم شملهم بعد هذه الغربة وهذا التشرد ، ولا شك أن تشتت بني إسرائيل بين الأمم ، ثم تجمعهم بعد هذا كان بعد رحيل موسى عن الدنيا بسنين كثيرة .

٤ ـ سفر العدد

وقد سمي بهذا الإسم لأن أكثر آياته تقسيمات عددية ، فهو يقسم

---

(١) سفر الأحبار ، الإصحاح ٢٠ : ٢٤ ـ ٢٦ .

أسباط بني إسرائيل ويرتب درجاتهم ومنازلهم وعدد الذكور منهم . . . الخ

كما اشتمل على أحوال وحياة بني إسرائيل وهم في التيه ، بالإضافة إلى كثير من التعاليم الدينية والطقوس الكهنوتية ، والتنظيمات المدنية والاجتماعية .

وما حكم به العلماء المحققون على الأسفار السابقة ، حكموا به أيضا على هذا السفر ، فهو في رأيهم ليس من تصنيف موسى عليه السلام ، وإنما كتبه الكهنة والأحبار ونسبوه إلى موسى كذبا وافتراء .

ولقد استند هؤلاء العلماء في دعواهم هذه على ظهور بعض التناقضات والتجاوزات غير الشرعية في هذا السفر ، فهو يبالغ في عدد الذكور من بني إسرائيل الذين أمر الله موسى بإحصاء عددهم[1] ، وهو يسجل ثورة وسخطا من هارون وأخته مريم على أخيهما موسى لزواجه من امرأة حبشية[2] . وليس يعقل أن يقوم هارون النبي بثورة على أخيه النبي ، وليس يعقل أن يمتلىء قلب النبي بالحقد والتذمر على أخيه الرسول .

٥ ـ سفر التثنية

اكتسب هذا السفر هذه التسمية لتلك الظاهرة التي تميز بها عن غيره من الأسفار الأخرى ، ففيه إعادة وتكرار للأحكام والتشريعات من أجل تثبيتها في نفوس الناس ، فلأنه آخر الأسفار عرضت فيه الوصايا العشر والأحكام والتشريعات مرة أخرى ، فهي مكررة مثناة ، وهو سفر التثنية لذلك .

---

(١) سفر العدد ، الإصحاح الأول .

(٢) سفر العدد ، الإصحاح ١٢ : ١/٢ .

وقد ضم هذا السفر ـ إلى جانب الوصايا العشر والأحكام والتشريعات ـ حديثا عن الكهنة والنبوة ، واختيار موسى ليوشع بن نون خلفا لـه في قيادة بني إسرائيل دينيا ودنيويا .

وسفـر التثنيـة كغيـره من الأسفـار السـابقـة قـد ضم الغث والسمـين ، والحقيقة والخيال ، والصدق والكذب ، مما حدا بـالعلماء المحققين لأن يحكمـوا عليه بأنـه ليس من تصنيف موسى عليـه السلام ، وإنمـا صنفـه الـذين جاءوا بعده فأضافوا وحذفوا وعدلوا وصححوا كي يتفق هذا السفر وغيره من الأسفار مع ظروفهم وحياتهم .

وقـد استند العلماء في هـذا الحكم على بعض الآيـات كتلك الآيات التي تحدثت عن موت مـوسى ودفنه في أرض مؤاب ، وكـان في نهايتها « ولم يعـرف أحد قبره إلى يومنا هذا »[1] ففي هذا النص دلالة على أن كاتبه كان بعد مـوت موسى حيث عرف بموته ومكان دفنه .

وإذن فالأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليـه السلام فيهـا شك في نسبتها إليه . وقـد أكد هـذا الشك وجـود هذه الأخـطاء والتناقضـات في تلك الأسفار .

---

(١) سفر التثنية ، الإصحاح ٣٤ : ٦/٥ .

ثانيـاً : توراة حلقيـا

ونمشي مع المسيرة التاريخية للتوراة التي ظهر ضيـاعها في عهـد سليمان ـ عليـه السلام ـ واستمـر اختفـاؤهـا حتى انقضـاء سبعـة عشـر عـامـا من حكم يوشيا ، وفي السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا أعلن الكـاهن حلقيا أنـه وجد التوراة في بيت المقدس[1] .

وكـلام ول ديورانت عن هـذه التوراة يـوحي بأنها قـد كتبت كـرد فعـل لارتداد الشعب عن عبادة يهـوه إلى عبادة الآلهـة الأجنبية ، وأن الكهنـة الذين كتبـوا هـذه التـوراة قـد ضمنـوهـا بعض آراء الأنبيـاء من أجـل استمـالتهم واكتساب معونتهم ، فيقول ول ديورانت :

« وكـان أهم أثر لـلأنبياء في معـاصريهم هـو كتابـة التـوراة وكـان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهـة الأجنبية ، فـأخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمعنون بها تدهور العقيدة . . . فـاعتزمـوا أن يبلغوا النـاس رسـالـة من الله نفسـه في صـورة سنن إلهيـة تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقيـة ، ويضمنون بهـا معونـة الأنبياء وذلـك بما تتضمنه من آرائهم القليلة التطرف »[2] .

ثم يضيف بعد هذا بقليل :

« وليس ثمة ما يضطرنا إلى أن نفترض أنه ـ أي هذا السجل الذي ادعاه حلقيـا ـ قد وضـع في تلك الساعـة ، فكـل مـا فيـه أنـه يقنن ويسجـل أوامـر

---

(١) سفر الملوك الرابع ٢٢ : ٨ .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٥٦ / ٣٥٧ .

ومطالب ونصائح نطق بها خلال عدة قرون أنبياء بني إسرائيل وكهنة المعبد »[1] .

وهذا الذي يقوله ول ديورانت لا يعني إلا أن هذه التوراة التي اكتشفها حلقيا ماهي إلا مجموعة من أقوال الأنبياء والكهنة على مدى عدة قرون ، جمعت كما يجمع المؤرخ أقوال مشاهير العالم ثم رتبت ونسقت وأعلنها يوشيا الحاكم وحلقيا الكاهن لشعب بني إسرائيل على أنها توراة موسى .

وانظر إلى هذا الخداع ، وهذه الخيانة باسم الدين وباسم موسى ـ عليه السلام ـ إذ ينسب إليه كلام بشري قد يكون فيه الغث والسمين . والصحيح والخطأ ، ويعلن على الناس بأنه وحي إلهي ، وكلام رباني .

وهذا الفعل وحده كاف في فضح أساليب بني إسرائيل ، وفضح توراة حلقيا التي لا أصل لها من الدين ولا سند صحيح تقوم عليه .

والذي أراه وأومن به أن ما أعلنه حلقيا من وجود توراة موسى في بيت المقدس في ذلك الوقت أمر يستحيل عقلا تصديقه ـ وليس معجزة حتى يقال ليس للعقل مجال فيها وذلك لأن حلقيا ليس برسول ولا نبي ـ فلقد كانت وفاة سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق.م وقد عاش اثنتين وخمسين سنة ، فمولده على هذا كان في عام ٩٨٧ ق.م ، وقد تولى الحكم سنة ٩٧٥ ق.م ، وبدأ بناء البيت والهيكل سنة ٩٧١ ق.م وانتهى من بناء كليهما سنة ٩٥١ ق.م ثم جيء بالتابوت حينئذ فلما فتح لم يجدوا فيه التوراة ، وكان أول ظهور توراة بعد هذا الحادث في العام الثامن عشر من حكم يوشيا الذي تولى الحكم سنة ٦٢٩ ق.م أي أن التوراة التي ظهرت بعد قصة فتح التابوت كانت سنة

---

(١) المرجع السابق

٦١٢ ق.م ، وبعملية جمع وطرح تكون المدة من فقدان توراة موسى حتى ظهور التوراة التي أعلنها حلقيا هي : ثلاثمائة وخمسون عاما تقريبا ، وهذا يعني استحالة وجود توراة موسى بذاتها بعد كل هذا الزمن الشاسع ، وبخاصة إذا علمنا أن هذه المنطقة دمرتها الحروب والحرائق مرات كثيرة ، وقد شرد شعب بني إسرائيل هنا وهناك أكثر من مرة ، وسيطرت عبادة الأوثان مئات السنين على الناس وعلى أفكارهم وعقولهم ، فهل يعقل وصورة الأحداث هكذا أن توجد توراة موسى بعد ذلك ؟ هذا من أشد الأمور استحالة عقلية ومنطقية .

ويرى رحمة الله الهندي ـ وأنا معه فيما يرى ـ أن هذه التوراة لا يعتمد عليها ، ولا يعتمد على إدعاء حلقيا[1] ، وذلك لأن الكثير من النقاد ينظرون إلى هذه التوراة على أنها اختلاق وافتراء ، وأن حلقيا عمد إلى الروايات والحكايات التي يتناقلها الناس ـ سواء كانت صادقة أو كاذبة ـ ونسج منها هذه التوراة التي لا علاقة لها بتوارة موسى ـ عليه السلام ـ إذ كيف تمر هذه السنون كلها ويتوالى حاكم بعد حاكم ولا يكتشف الجميع وجود هذه التوراة في بيت المقدس ؟ وهل يعقل وجود التوراة في بيت المقدس بعد هذه السنين الطويلة علما بأن بيت المقدس قد نهب مرتين على يد حاكم مصر وحاكم إسرائيل الوثني ؟ وأين كان سدنة الأصنام في هذه الفترة ؟ ألم يكتشفوا هذه التوراة كما اكتشفها حلقيا ؟

إن العقل لا يشك في أن عبدة الأصنام في هذه الآونة كانوا يبحثون عن هذه التوراة لإحراقها والتخلص منها ومن أحكامها الشرعية والعقائدية ، وبنو

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩١ .

إسرائيل والحكام والكهنة كانوا أيضا يبحثون عن التوراة لإحياء مجدهم القديم ، الكل يبحث ويبذل جهده لاكتشاف نسخة من نسخ التوراة ولكن الجميع يفشل في تحقيق هذه الغاية ما عدا حلقيا فهو وحده الذي اكتشف وجودها ببيت المقدس ، أليس هذا أمرا عجبا ؟

ولو سلمنا جدلا بوجود توراة موسى في عهد يوشيا على يد الكاهن حلقيا ، فإن الأحداث التي حلت بالمنطقة وبالناس في هذه الآونة تسببت في ضياع التوراة للمرة الثانية ، فلقد أغار على بيت المقدس حاكم مصر في ذلك الوقت ثم بعده جاء بختنصر فأغار هو الآخر على بيت المقدس وأحرق بيت الله وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم وبخاصة بيوت العظماء والأجلاء منهم ، ثم أسر بقية شعب بني إسرائيل وسباهم وشتتهم في البقاع فانعدمت التوراة ومعها سائر كتب العهد القديم التي كانت مصنفة قبل هذه الحوادث[1] .

أضف إلى هذا أن الذين تولوا الحكم بعد يوشيا ارتدوا عن دين الله وأشاعوا الكفر بين الناس ، وعبدوا الأصنام ونشروا الفساد في الأرض ، وفي مثل هذه الأجواء لاتقوم لكتاب ديني قائمة ، وسيكون هدفا للحرق والإتلاف من قبل المرتدين والغازين على حد سواء .

وهكذا ضاعت التوراة الثانية التي اختلقها حلقيا مدعيا أنها توراة موسى ، وضاع أمل بني إسرائيل ، وضاعت التوراة ، وانقطعت سلسلة السند للمرة الثانية .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩٣ .

ثالثاً: توراة عزرا

عرفنا أن التوراة التي نزلت على موسى قد ضاعت ، واكتشف سليمان ضياعها حين فتح التابوت فلم يجدها ، كذلك ضاعت التوراة التي ادعاها الكاهن حلقيا في عهد يوشيا ، ثم مرت سنون كثيرة ظهرت بعدها توراة ثالثة جديدة هي توراة عزرا .

وتبدأ قصة هذه التوراة الثالثة بأخذ بني إسرائيل أسرى إلى بابل ، فهناك أخذ الكهنة في جمع أسفار هذه التوراة وكتابتها من جديد ، وقاد عزرا هذه العملية حتى تمت كتابة التوراة للمرة الثالثة .

واليهود يتبادلون هذه التوراة على أنها توراة موسى وقد كتبها عزرا بإلهام من الله تعالى ، فقد ذكر كتاب إظهار الحق أنهم يقولون « أحرقت التوراة وما كان أحد يعلمها ، وقيل إن عزرا جمع مافيها مرة أخرى بإعانة روح القدس » وقال كليمني إسكندر يانوس« إن الكتب السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى » وقال ترتولين « المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعد ما أغار أهل بابل بأورشليم » وقال تهيوفلكت « إن الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام »[1] .

ولقد اشتط بنو إسرائيل فادعوا أن عزرا ما جاء بالتوراة التي نزلت على موسى بعد كل هذا الشتات وهذا الضياع إلا لأنه ابن الله ، وقد وبخهم الله على هذا الاعتقاد الفاسد وتوعدهم بالعذاب الشديد فقال سبحانه :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٥٤ .

بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1]

وقضية الإلهام التي يدعيها اليهود قضية مختلقة كاختلاق هذه التوراة ، ولا صحة لهذه الدعوى لأن مقتضى أن يكتب عزرا مايكتبه بإلهام من الله تعالى ألا تكون منه أخطاء ولا تقع في كتاباته أغلاط ، لكن الأمر غير هذا ، فجمهور أهل الكتاب يقولون أن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفهما عزرا بإعانة حجي وزكريا ـ والثلاثة عند اليهود رسل ملهمون مؤيدون من الروح القدس ـ ومع هذا فإن في الباب السابع والثامن من السفر الأول تناقضا وخطأ في بيان أولاد بنيامين ، كما اختلف هذا مع التوراة المشهورة عن عزرا بوجهين :

الأول : في الأسماء ، والثاني : في العدد ، حيث أنه جاء في الباب الثامن أنهم خمسة لكنهم في التوراة عشرة .

واتفق علماء أهل الكتاب على أن ما وقع في السفر الأول غلط لسببين :

الأول : أن عزرا لم يستطع التمييز بين الأبناء وأبناء الأبناء .

والثاني : أن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة[2] .

وحينئذ كيف يتفق قول بني إسرائيل أن عزرا قد أخطأ في سفر الأيام وقولهم أنه ملهم ، وقد كتب التوراة بإلهام من الله تعالى ؟ وكيف يكون ملهما ويحتاج إلى إستمداد معلوماته من طريق آخر غير الإلهام ؟ بل ومن أوراق ناقصة ؟

---

(١) التوبة / ٣٠ .

(٢) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ١٠٤ / ١٠٥ .

وإذا كان عزرا هو كاتب أخبار الأيام ـ السفر الأول والثاني ـ وهو أيضا كاتب التوراة المشهورة فكيف حدث الاختلاف بينهما ؟ الذي أراه أن عزرا إما أن يكون غير ملهم أو أن التوراة المنسوبة إليه ليست من تصنيفه ، وبالتالي تكون غير توراة موسى .

وهذا الذي أراه يقويه رأي ول ديورانت حيث ذكر أن كتاب شريعة موسى المنسوب إلى عزرا يتكون من قصص كتبت في يهوذا ، وأخرى كتبت في إفرايم ، يضاف إلى هذا عنصر ثالث هو سفر التثنية الذي يرى ديورانت أن كاتبه غير كتبة الأسفار السابقة عليه ، أما العنصر الرابع فهو يتألف من فصول أضافها الكهنة فيما بعد ، ثم يقول ديورانت بعد هذا :

« والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من « سفر الشريعة » الذي أذاعه عزرا ، ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حولي عام ٣٠٠ ق.م ، وكانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد . . . ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى »[1] .

أيضا هم يقولون أن عزرا كان رسولا ، فإذا كان رسولا لزم أن يكون متبعا لتوراة موسى ـ عليه السلام ـ ، فإذا كتب التوراة بعد ضياعها فلابد وأن تكون هي وتوراة موسى وسفر الأيام شيئا واحدا في جميع الحقائق الدينية

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٧ ص ٣٦٧ / ٣٦٨ .

والتاريخية بحيث لا يكون بينها تناقض ولا يقع في واحد منها أخطاء ، وهذا غير متحقق في توراة عزرا .

على أن بني إسرائيل أجازوا وقوع الكبائر من رسلهم فهم غير معصومين عندهم من الكبائر ـ وقد عرفنا من توراتهم النبي القاتل والزاني وعابد الوثن ـ ، ومن يكون هكذا لايكون معصوما عن الخطأ في التحرير والتبليغ[1] .

ووجود خلاف وتضارب بين كتاب حزقيال ، الباب الخامس والأربعين ، وسفر العدد الباب الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ، هذا الخلاف والتضارب يؤكد أن التوراة المشهورة والتي ظهرت على يد عزرا لا علاقة لها بتوراة موسى لأن حزقيال كان نبيا والأنبياء من بني إسرائيل متفقون جميعا في أمور العقيدة والشريعة ، فمما لاشك فيه أن حزقيال سيتبع توراة موسى ، فلو كانت التوراة المشهورة هي توراة موسى لما وجد خلاف بين ما كتبه حزقيال وبين هذه التوراة المشهورة .

قال نورتن ـ أحد علماء أهل الكتاب ـ لايوجد فرق معتد به في محاورة التوراة ومحاورات سائر الكتب من العهد القديم الذي كتب في زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل ، مع أن بين هذين الزمانين تسعمائة عام ، وقد علم بالتجربة أنه يقع الفرق في اللسان بحسب اختلاف الزمان »[2] .

فإذا كانت قضية الإلهام باطلة فحينئذ يكون عزرا قد اعتمد في تأليف التوراة على ماكان لديه من محفوظات وما كان عند الكهنة من فصول يحفظونها من التوراة بالإضافة إلى ما كان يسمعه الكهنة من الناس من أقاصيص

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ١٠٥ .

(٢) السابق ص ١٠٥ ـ ١٠٨ .

وحكايات ، وما كان يتلقاه الجيل الحاضر عن الجيل الماضي من أخبار وأساطير وتلفيقات كان يعتقد الكهنة بصحتها دون التأكد من هذا إذ لا سبيل إلى ذلك .

وعلى هذا فإن « التغيير وقع في أول الأمر . . . من عازر الوراق في التوراة في بعض الأمور إما عمدا وإما خطأ فإنه لم يقم دليل على عصمته ، ولا أن تلك الفصول التي جمعها من التوراة بعد احتراقها هي عين التوراة التي نزلت على موسى »[1] .

والصحيح الذي عليه العلماء المحققون والذي يتفق مع رأي المسلمين أن هذه التوراة التي بأيدي بني إسرائيل غير التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وأن هذه التوراة المشهورة قد يكون فيها شيء من توراة موسى لكن من المؤكد أنها ضمت كثيرا من أفكار كتبتها ومن مؤثرات التشرد والقهر الذي عاناه بنو إسرائيل مما بَعُدَ بهذه التوراة الجديدة عن جادة الصواب والحق في كثير من أحكامها وعقائدها وتشريعاتها ، وبذلك انحرفت هذه التوراة عن مسار التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وهذا هو ما سماه القرآن تحريفا وكتمانا للحق ، وَلَيًّا بألسنتهم ونسيانا لكلام ربهم .

وحتى توراة عزرا هذه قد ضاعت هي الأخرى حيث وقعت ببني إسرائيل مصائب وحوادث كثيرة أضاعت التوراة وكل كتب العهد القديم .

فقد غزا أنتيوكس الرابع ـ حَكَم سوريا من ١٧٤ ق.م ـ ١٦٤ ق.م ـ أورشليم وتم له النصر على أهلها وفتح أورشليم فاستباح الرجال والنساء والمال

---

(١) إبن القيم ، هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان) ص ١٥٦ .

والأولاد ، وهدم البيوت وأحرق المزارع ، واضطهد اليهود في كل مكان فذبحهم وأحرق جميع نسخ العهد العتيق ـ التوراة والأسفار الأخرى ـ وقد ذكرت أسفار العهد القديم هذه الحادثة جاء في الباب الأول من الكتاب الأول للمقابيين :

« لما فتح أنتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد التي حصلت له من أي مكان بعدما قطعها ، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر ، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق أو ثبت أنه أدى رسما من رسوم الشريعة ، وتعدم تلك النسخة »[1] .

ثم لماأصبحت أرض الشام تحت الحكم الروماني ، وبعد المسيح بسبع وثلاثين سنة قاد طيطس الروماني حملة عسكرية وهاجم أورشليم ثم دخلها فاتحا فقتل من الناس أكثر من المليون وأسر منهم آلافا عديدة ، ودمر البلاد وأهلك الحرث والنسل ، ووصلت أيدي الغزاة إلى جميع نسخ التوراة الموجودة فأهلكتها وأحرقتها[2] .

وبهذه الحوادث التي نزلت ببني إسرائيل بعد ظهور عزرا بتوراته ضاعت جميع نسخ التوراة سواء منها التي كتبها عزرا أو التي كتبها الآخرون عن نسخة عزرا « يقول جان ملز كاثلك في ص ١١٥ من كتابه الذي طبع في بلدة دربي سنة ١٨٤٢م » اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر . ولما ظهرت نقولها الصحيحة

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩٤ والنص من تاريخ يوسيفس .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩٥ والنص مأخوذ من تاريخ يوسيفس .

بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة أنتيوكس »[1] .

وبعد :

فمن هذا العرض التاريخي نرى أن توراة موسى قد ضاعت واختفت ، وكذلك توراة حلقيا ، وتوراة عزرا ، وأن السند بين كل واحدة والأخرى كان مقطوعا ، والمسافة الزمنية بين كل واحدة والأخرى كان كبيرا ، فلا صلة بين توراة حلقيا وتوراة موسى ـ عليه السلام ـ ولا بين توراة عزرا وتوراة موسى ، والكتاب الديني إذا لم ينقل في جميع مراحله نقلا متواترا لا يصح أن تؤخذ منه العقائد ولا أن يوثق به في تقرير الشرائع .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٣٥٤ .

التوراة سنداً ونقلاً

ثبت بالأدلة أن جميع نسخ التوراة التي كتبت في مراحلها المختلفة ليس لها سند متواتر ، اللهم إلا توراة موسى ـ عليه السلام ـ في أول الأمر ، فقد نقلت هذه التوراة نقلا متواترا حيث أعطاها موسى للكهنة من بني لاوي وأشهد الجميع على هذا وأخذ عليهم العهد بالمحافظة على كتاب الله ، ولكن هذا السند قد انقطع بضياع هذه التوراة من التابوت وقت فتح سليمان ـ عليه السلام ـ لهذا التابوت فلم يجد التوراة فيه .

ومرت فترة طويلة ـ ثلاثمائة وخمسون عاما تقريبا ـ ظهرت بعدها توراة جديدة هي التي ادعى حلقيا اكتشافها مخبرا أنها توراة موسى قد وجدها في بيت المقدس .

وهذه التوراة التي ادعى حلقيا وجودها ببيت المقدس ليس لها علاقة ولا أية صلة بتوراة موسى ـ كما عرفنا من قبل ـ وليس مع حلقيا أي دليل يثبت ويؤكد أن هذه التوراة التي معه هي بعينها التوراة التي وضعها موسى في التابوت ، والأحداث التي وقعت بالناس والبلاد وبيت المقدس في هذه الفترة تؤكد تأكيدا جازما أن توراة حلقيا هذه ليست هي توراة موسى ، وإنما هذه توراة أخرى صنفها حلقيا حين وجد إقبال يوشيا وحاشيته على الله وتوبتهم مما كانوا عليه وعزمهم على إظهار شريعة موسى من جديد .

ثم إننا نعرف أن توراة موسى كانت في التابوت فلما فتحه سليمان ـ عليه السلام ـ لم يجدها ، فكيف وجدت بعد ذلك في بيت المقدس وبدون التابوت ؟ ولو سلمنا جدلا أن أحدا وجدها في التابوت فاستخرجها ووضعها ببيت المقدس ، فالذي قام بهذا العمل إن كان وثنيا أو غازيا فلاشك أنه كان

سيحرقها أو يمزقها ، وإن كان مؤمنا فلا شك أيضا أنه كان سيعلن على الجميع اكتشافه للتوراة ويفعل مثل الذي قام به حلقيا .

ولما فتح سليمان التابوت ولم يجد توراة موسى لِمَ لَمْ يبحث عنها وقد كان الحاكم في ذلك الوقت ؟ لقد كان سليمان يكلم الطير والنمل ، وكانت له جنود من الإنس والجن ، وكان باستطاعته تسخير هذه القوات والقدرات للبحث عن التوراة لو كانت قد ضاعت في زمانه .

إن الشواهد تكاد تجمع على أن توراة موسى قد فقدت قبل سليمان بسنين عديدة ، فالذي استطاع أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه كان باستطاعته أن يأتي بالتوراة من سارقها أو مخفيها لو كانت موجودة لم تحرق ولم تمزق ، ولقد كان سليمان حاكما وحكيما فكانت لديه القوتان : المادية والعقلية التي بهما كان يمكن أن يكتشف وجود التوراة ببيت المقدس لو كانت حقا فيه، لكنه أدرك بثاقب فكره أنها قد سرقت منذ أمد بعيد،ومن سرقها لابد وأن يكون قد أحرقها ، أو مزقها ولم يعد لها وجود على الأرض .

الحق أن هذه التوراة التي ادعاها حلقيا توراة مصطنعة ، ولو كانت حقا توراة موسى لشهد بهذا جميع الأنبياء الذين جاءوا بعد ذلك ولكانوا قد نصوا على هذه الحادثة المهمة فيما كتبوه من أسفار أو مراثي أو كتب ولكن شيئا من ذلك لم يكن مما يؤكد أنها توراة مدعاة[1] .

---

(١) قد يقال : وكذلك لو كانت توراة حلقيا أوعزرا ملفقة ومكذوبة لكان هؤلاء الأنبياء قد نصوا على هذا أيضا في كتبهم ، والجواب على هذا : أن أي نبي إذا اطلع على توراة حلقيا أو عزرا فلاشك سينكرها وقد يسجل هذا الإنكار فيما كتبه من الكتب ولكن هذا الإنكار لا نراه الآن في هذه الكتب ، أما لأن التحريف أيضا قد نالها ووصل إليها : أو أن هذه الكتب المنسوبة إلى هؤلاء الأنبياء ليست من تصنيفهم وقد نسبت إليهم لضمان عدم معارضتها من الناس وقبولهم إياها دون شك أو ريبة .

وقل مثل هذا أيضا في توراة عزرا ، فهذه التوراة منقطعة السند ولا صلة لها بتوراة موسى ـ عليه السلام ـ فعزرا قد ظهر بمقولة التوراة الجديدة وإلهامه إياها من الله تعالى في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا ، وهذا يعني أن بين توراة عزرا وفقدان توراة موسى ما يقرب من خمسمائة سنة ، وبين توراة عزرا وتوراة حلقيا ما يقرب من مائة وستين عاما ، وهذا زمن كاف لانقطاع السند بين هذه النسخ الثلاث وبخاصة السند بين توراة عزرا وتوراة موسى .

ويؤكد ول ديورانت أن توراة عزرا مخالفة للتوراة التي اكتشفها الكاهن حلقيا في عهد يوشيا فيقول : «ترى ماذا كان كتاب شريعة موسى هذا[1] ؟ لم يكن هذا الكتاب هو بعينة « كتاب العهد » الذي قرأه يوشيا من قبل لأن هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قريء على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد ، على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل »[2] .

وأقول إن هذا الكلام والاعتراف من ول ديوارنت لدليل على أن كلا من التوراتين مكذوبتان ، فكتاب العهد ينسب إلى موسى ، وكتاب الشريعة ينسب إلى موسى أيضا ، فإذا كانا راجعين إلى موسى ـ عليه السلام ـ فالواجب ألا يختلفا ، وإذ ثبت إختلافهما دل هذا على أنهما كتابان مكذوبان منحولان قد صنفهما الكهنة ونسبوهما إلى موسى كذبا .

ولو كان حقا ما يدعيه بنو إسرائيل من أن توراة عزرا متصلة السند لأنه تلقاها عن الله إلهاما ، لو كان هذا حقا لما كان بين هذه التوراة وبين ما كتبه

---

(١) يقصد بهذا توراة عزرا فهو يطلق عليها « كتاب شريعة موسى » .

(٢) ول ديوارانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٦ .

أنبياء بني إسرائيل بعد ذلك أي تناقض أو اختلاف ، ولكن الواقع يقول بوجود هذا الاختلاف والتضارب ، ليس بينها وبين ما كتبه الأنبياء فقط ، ولكن بينها وبين سفر أخبار الأيام الذي صنفه عزرا أيضا ، وهذا دليل قوي على أن التوراة المنسوبة إلى عزرا ليست إلهامية ولا وحيا إلهيا ، وليست لها صلة بتوراة موسى عليه السلام .

والذي يساعد على القول بانقطاع سند التوراة عدة أمور منها :

١ ــ أن بني إسرائيل كانوا في كثير من الأحيان ينصرفون عن عبادة الله تعالى ويرتدون عن شريعة موسى ويدينون بالولاء والعبادة لصنم لا يضر ولا ينفع ، وقد حدث هذا منهم مرات ومرات ، وكان الله يرسل إليهم من الأنبياء ما يدعوهم إلى الصراط المستقيم لكنهم كانوا يؤذونهم بل كانوا يقتلونهم « لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾»[1] ولا يفعل هذا إلا كافر مرتد .

ولقد أحصى ابن حزم عدد مرات ارتداد بني إسرائيل عن دين الله ودخولهم في عبادة الأوثان فكانت سبع مرات استقطعت من الزمن مائة وأربع سنين ، يقول ابن حزم : « فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى ـ عليه السلام ـ إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا بعبادة الأصنام ، فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام ، والثانية ثمانية عشر عاما ، والثالثة عشرين عاما ، والرابعة سبعة أعوام ، والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر ،

---

(١) سورة المائدة / ٧٠ .

والسادسة ثمانية عشر عاما ، والسابعة أربعين عاما ، فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم »[1] .

وانتهى عهد القضاة الذي اتسم بارتداد بني إسرائيل عن دين الله وعبادتهم للأصنام ، وجاء عهد الملوك ولم يترفع بنو إسرائيل عن هذا الكفر وإنما ظلوا متنكرين لله تعالى ، عاكفين على عبادة الأصنام .

فحين انقسمت مملكة سليمان بين ولديه رحبعام ويوربعام انتشر الفساد والكفر بين أسباط بني إسرائيل حتى قيل أنهم عبدوا الأصنام ، بل وصل بهم الكفر إلى درجة التحدي لله تعالى ، وذلك بتلطيخ بيت المقدس حيث جعلوه بيتا للأصنام بدلا من أن يكون بيتا لله تعالى .

وشعب كهذا في عبادته للأصنام وكفره بالله تعالى واستهزائه ببيت الله ، لايكون عنده حافز يدفعه للمحافظة على التوراة ، أو حفظها في صدره أو كتابتها في الصحف ووضعها في مكان أمين .

إن من كان في مثل هذا الكفر والعصيان ، والبعد عن الله تعالى سيرى في التوراة سيفا مسلطا على رقبته ، وقيدا يحد من فوضويته لذلك فإنه سيحاول كل جهده للتخلص منها ووضع تشريعات جديدة تتفق مع حياته الحديثة ، قال كريز إستم في تفسيره التاسع على متى « إنمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم

---

(١) إبن حزم (أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري) الفصل في الملل والأهواء والنحل (الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة) جـ ١ ص ١٤٣ .

ديانتهم ، ومزقوا بعضا وأحرقوا بعضا »[1] .

ولا شك أن مثل هذه الأعمال ـ الغفلة وعدم التدين وحرق الكتب وتمزيقها ـ ستكون عاملا فعالا في قطع سلسلة السند لهذه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام .

٢ ــ وإذا كان الشعب الإسرائيلي قد انصرف عن التوراة إلى عبادة الأصنام فتسبب بذلك في ضياع التوراة وانقطاع سلسلة السند ، فإن انقراض طبقة الأئمة والأحبار الذين أوصاهم موسى بحفظ التوراة والمحافظة عليها كان هو الآخر عاملا من عوامل ضياع التوراة التي نزلت على موسى وانقطاع سلسلة السند والنقل .

فبمرور الأيام أخذ هؤلاء الكهنة في الانقراض شيئا فشيئا ، فبعضهم وقع به الموت ، والبعض الآخر هلك مع من هلك تحت ضربات الجيوش الغازية ، أوثورات أصحاب الأرض من الكنعانيين .

فإذا أضفنا إلى هذا أن حفظ التوراة لم يكن في ذلك الوقت فرضا ولا سنة ، وكان كل واحد من الأئمة اللاويين يحفظ فصلا من التوراة[2] ، إذا عرفنا هذا وذاك أدركنا كيف كان انقراض هذه الطبقة من الأئمة عاملا مؤثرا إلى حد كبير في ضياع التوراة وانقطاع سلسلة السند والنقل .

٣ ــ أما العامل الأكبر تأثيرا في ضياع التوراة وانقطاع سلسلة السند فهو تلك المعارك المستمرة التي كانت تقع بين بني إسرائيل وأهل الأرض الأصليين ، وبينهم وبين الغزاة الذين جاءوهم من هنا ومن هناك .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٣١ .

(٢) إبن القيم ، إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٣٥٢ .

فمن المعلوم أن صاحب الأرض دائما يتحين الفرصة للانقضاض على الدخلاء الذين اغتصبوا أرضه ، وقد حانت الفرصة للكنعانيين في زمن الكاهن الأكبر عالي ـ عهد القضاة ـ فانقضوا على الإسرائيليين قتلا وتدميرا وحرقاوتعذيبا ، وانتصر الكنعانيون على الإسرائيلين ، فاستباحوا كل شيء ، ومن هذه الأشياء التي غنموها تابوت العهد الذي كان موسى قد وضع فيه التوراة ، وقد ظل هذا التابوت بيد الكنعانيين سبعة أشهر ثم ردوه إلى بني إسرائيل حيث وضعوه على عجلة تجرها بقرتان .[1]

وهنا يرد احتمال فتح التابوت من قبل الكنعانيين المنتصرين ، ومن أجل الإنتقام من بني إسرائيل أخذوا التوراة التي كان موسى قد وضعها في التابوت فإما حرقوها وإما مزقوها أو تخلصوا منها بأي كيفية كانت ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحادثة حيث قال سبحانه وتعالى من بني إسرائيل :

« وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ »[2] .

فقد روى عن بعض الصحابة قولهم أن التوراة كانت موجودة بالتابوت ، كما روى عن البعض قوله بأن التابوت لم يكن فيه إلا لوحان فقط من التوراة ، والبعض الآخر لم يذكر أنه كان بالتابوت شيء من التوراة ، ومع هذا وذاك فهناك احتمال كبير بفتح التابوت من قبل الكنعانيين وأخذ التوراة منه أو أخذ بعضها وبخاصة أن الكنعانيين كانوا في ذلك الوقت من عبدة الأصنام ، ولا

---

(١) سفر الملوك الأول ، الفصل الخامس والسادس .

(٢) البقرة / ٢٤٨ .

يعقل أن يكون من الوثنيين احترام وتقديس ومحافظة على كتاب ديني يختلف مع عقيدتهم التي توارثوها جيلا عن جيل .

كذلك ابتلى الله بني إسرائيل بمن غزاهم من الخارج فدمر الهيكل وأحرق الأخضر واليابس وأسر الناس وفرقهم في الممالك التي كانت تعج بالكفار والوثنيين ، كما جلبوا الوثنيين من بلادهم ووطنوهم في مملكة إسرائيل ، وبتوالي الأيام وكر الأزمان تم التزاوج بين الإسرائيليين والأمم التي يعيشون معها ، فتناسوا التوراة وأهملوا شأنها فمن « عهد يوربعام إلى آخر السلطنة الإسرائيلية ماكان لهذه الأسباط ـ يقصد الأسباط العشرة التي تتكون منها مملكة إسرائيل ـ غرض بالتوراة وكان وجود نسخ التوراة في تلك المملكة كوجود العنقاء »[1] .

ومن أوضح الأمثلة وأقوى الصور الدالة على هذا ماقام به بختنصر من حرق الهيكل وتدمير بيت المقدس وإحراق بيوت العظماء والكبراء ، أما سائر الشعب فقد أسرهم وشتت شملهم ، وقد تكرر هذا من بختنصر أكثر من مرة ، وفي موقف كهذا لايمكن أن يكون للتوراة وجود يذكر ، فقد أحرقت وأحرق معها سائر كتب العهد القديم[2] .

وقد جاء في المصادر القديمة أن كتب وقراطيس اليهود الدينية قد تعرضت لكثير من المصادرة والتحريف، فقد نشبت بعض المناوشات بين اليهود والحامية الرومانية وذلك في زمن أغسطوس فنهب الرومان الهيكل ودنسوه وأحرقوا ما فيه من أوراق غير آبهين إن كانت فيها توراة أولم تكن .

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩٠ .

(٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) تاريخ الطبري (تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار سويدان ـ لبنان) م ١ ج ١ ص ٥٣٦ ـ ٥٤٣ .

كـذلك سـير (كلود) ـ قيصر روما ـ حملة عسكريـة طـارد فيهـا اليهـود وشتتهم في القرى والجبال والصحاري ، وفي أثناء هذه المطاردة عثر أحد الجنود على أسفار موسى[1] فحرقها على مرأى ومسمع من الشعب اليهودي .

وإذن فهذه المعارك ـ وغيرها كثير ـ التي كانت مستمـرة بين بني إسـرائيل والكنعـانيين ، وبينهم وبـين الغزاة من الخـارج كانت سببـا من أسبـاب ضيـاع التوراة وفقدها وانقطاع سلسلة السند والنقل .

وبهذه الأمور التي ذكرناها ضاعت توراة موسى ولم يعـد مع بني إسـرائيل شيء من عهد النبوة إلا الوصايا العشر[2] ، وعرف جميع بني إسـرائيل بضيـاع التوراة وأصبحوا شعبا بلا كتاب ديني ، وبلا وحيَ إلهي ، لقد ضاعت التـوراة وانقطعت سلسلة النقل فلا سند متواتر للتـوارة ، وليس هناك نقـل أمين نقلت التوراة عن طريقه ، وكتاب يقال أنه كتاب ديني ولا سند لـه ولم يثبت نقله نقلا صحيحـا لا يجوز أن يقـال عنه أنـه وحي إلهي وماهـو إلا حكـايـات وروايـات وأقاصيص نسجها الكهنة من هنا وهنـاك وولفوا كتـابا أسمـوه التوراة وخلعـوا عليه قدسية مصطنعة ليجمعوا عليه الشعب الإسرائيلي ويتوحدوا من حوله .

---

(١) الـدبس ، تاريـخ سوريـا (م ٣ ج ٢) نقلا عن (القـرآن والمبشرون ـ محمـد عـزة دروزة ـ ص ٣٦) لعل الصحيح أنها نسخة من نسخ التوراةالتي كتبها الكهنة ونسبوها إلى موسى ، فقد سبق أن ذكرنا أن تـوراة موسى قـد فقدت منـذ عهد سليمـان ، كما أن ارتـداد كثير من بني إسـرائيل ومالحقه بختنصر بهؤلاء الناس وتدمير بيت المقدس وحرق الهيكل ، كل هذا ينفي أن يكون مـا وجده الجندي هو أسفار موسى بذاتها وإنما الصحيح أنها توراة منحـولة ونسبت إلى مـوسى زورا وبهتانا .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٢٧١ .

مصادر التوراة

إذا كانت التوراة التي ظهرت على يد حلقيا قد فقدت للأسباب التي ذكرناها ، وكذلك التوراة التي نسبت إلى عزرا قد فقدت هي الأخرى لنفس الأسباب ، فما مصدر التوراة التي بأيدي اليهود اليوم ؟ ومن الذي صنفها وألفها ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما علاقة هذه التوراة بما نزل على موسى من وحي الله تعالى ؟ تجمع المصادر التي تحدثت عن التوراة ـ سواء منها ما كتبه المسلمون أو ما كتبه أهل الكتاب ـ التي بأيدي اليهود اليوم على أنها لم تكن في أول أمرها بهذه الصورة النهائية التي عليها الآن ، وإنما تقلبت في مراحل متعددة ، لكل مرحلة منها زمان معين وصورة مخصوصة وكيفية أخرى تختلف بها كل مرحلة عن سابقتها ولاحقتها .

يقول ول ديورانت : « ليس العهد القديم شريعة فحسب بل هو فوق ذلك تاريخ ، وشعر ، وفلسفة من الطراز الأول[1] ، وإذا ما أنقصنا من قيمة الكتاب مافيه من أساطير بدائية . ومن أغلاط مبعثها صلاح الكاتبين وتقواهم ، وأقررنا أن مافيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقة أو من القدم ماكان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها . . . الخ[2] . .

فـ « ول ديوارنت » يرى أن توراة اليوم فيها من الشعر والتاريخ والفلسفة ، كما أن فيها أساطير بدائية ، وأغلاط وعدم الدقة في تحديد التاريخ .

---

(١) فليلاحظ القارىء أن الله لا يوحي شعرا ولا يقول فلسفة ، كما أن كلا من الشعر والفلسفة كثيرا ما يحيدان عن الحقيقة ويجلتان في عالم الخيال ، وكلام الله الذي أوحاه إلى موسى وجميع الرسل قبله وبعده ليس كذلك .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٨٥ .

وهذه الأغلاط والأخطاء وعدم الدقة لاتكون إلا إذا كان مصدر هذه التوراة مصدرا بشريا ـ لا إلهيا ـ متعددا ، إذ كل واحد يكتب جزءا من هذه الأسفار يكون متأثرا في كتابته بصلاحه وتقواه ـ كما يقول ول ديورانت ـ وبعوامل البيئة المحيطة به ، وبحالتي الاستقرار والتشرد اللتين سيطرتا على الحياة اليهودية بالتبادل طوال التاريخ .

وموريس بوكاي يفصل مصادر التوراة فيذكر أن الكتاب المقدس كان تراثا شعبيا في أول الأمر عناصره الغناء والأناشيد ، والروايات والأساطير والأمثال والحكم ، ثم بقايا محفوظة من تشريعات وأحكام التوراة لدى بعض الكهنة .

هذا التراث الشعبي كان ينتقل من جماعة إلى جماعة ومن جيل إلى جيل آخر عن طريق الأسرة والمعابد في شكل روايات تروى تاريخ بني إسرائيل ، وكان الاعتماد في رواية هذا التاريخ على الذاكرة حيث لم تكن الكتابة شائعة في ذلك الوقت[1] .

كذلك اعتمد هؤلاء الكهنة في كتابتهم للتوراة على الفكر البابلي ، فلقد عثر القائمون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية تحكي قصة الخليقة والطوفان و «قصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل» وعقيدة « المخلص » المنتظر موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة الإسرائيلية . . . وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت وطمع إلى خلود كخلود الأرباب فبحث عن ثمرة البقاء في السماء وخدعه إله ماكر عن بغيته فناوله بديلا منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ولكنها ثمرة الفناء . . .

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم ، ص ٢٠ وما بعدها .

وهـذه في جملتهـا لافي تفصيلهـا قـريبـة من المـأثـورات الإسـرائيليـة في هـذا الموضوع »[1] .

ولا شك عند أي باحث أن كتابا يجمع بين هذه العنـاصر كلهـا سيحتاج إلى إجراء عمليات تعديل وإضـافة وحـذف كي يكون في النهـاية كتـابا صـالحا لجذب القلوب إليه وتجميع بني إسرائيـل حولـه ولم شتتهم وتوحيـد صفوفهم ، يقول أدموند جاكوب : « يحتمل أن ما يرويه العهد القـديم عن موسى والآبـاء الأولـين لا يتفق إلا بشكل تقـريبي مع المجـرى التـاريخي لـلأحـداث ، ولكن الرواة كانـوا يعرفـون في هذه المـرحلة من النقل الشفهي كيف يضفـون الأناقـة والخيال حتى يربطوا بين أحـداث شديـدة التنوع ، وقـد نجحوا في تقـديم هذه الأحداث المختلفة في شكل حكاية لما حدث في أصل العالم والإنسان »[2] .

وحين استقر الشعب اليهودي بدأ يستعمل الكتابة ولكن في الأمور الهامة جدا ، إذ عمد كتبة الهيئة الملكية إلى كتابة ما في هـذه الحكايـات والأقاصيص ـ المضفي عليهـا أناقـة وخيالا ـ من وثـائق هامـة كـالعقـود والخـطابـات وقـوائم الشخصيات والأنساب والقرابين والغنائم .

وبهـذه الصورة البـدائية ، وبهـذا الخليط من الوثـائق تكـون مـا يسمى بالأرشيف أو السجل ، وعن طـريق هذه السجـلات وما فيهـا من وثائق أمكن وضع مؤلفات جديدة في الأدب والتاريخ والشعر والفلسفة تحكي قصـة الأحيال المتعددة في الأزمان التاريخية المختلفة ، وأصبحت هذه المؤلفات الجديدة بما فيها من خيال وأساطير وحكايات مصدرا لتوراة اليوم .

---

(١) عباس محمود العقاد ، الله (ط ٣ ـ دار المعارف بمصر) ص ١٧ .

(٢) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٢١ .

وإذن فهذه التوراة التي بأيدي اليهود اليوم لم تصل إلى هذه الصورة التي عليها الآن إلا بعد أن مرت في أطوار مختلفة يرتبط كل طور منها بزمن معين وظروف خاصة . عاشها الشعب الإسرائيلي إما في محنة وإما في رغد من الحياة .

فبعد أن عرف الشعب الإسرائيلي كيفية الكتابة ، كتب مؤلفات تاريخية وأدبية وفلسفية اتخذها فيما بعد مصدرا لكتابة التوراة .

وتبعا لأن الحادثة التاريخية قد يصدقها البعض وقد يكذبها البعض الآخر وقد يعدل فيها البعض الثالث ، وكذلك الشعر والأدب . . الخ تبعا لهذا وذاك لم تكن مفاجأة أن نجد للتوراة عدة نسخ مختلفة فيما بينها ، فهذه نسخة عبرية ، وأخرى سامرية ، وثالثة يونانية ، ورابعة لاتينية ، وهذه بعض المدونات والمخطوطات الآرامية والسامية ، وهذه ترجمة سبعينية وأخرى عربية .

ومن مجموع هذه النصوص المختلفة قام الكهنة والكتاب بإعداد نصوص تسمى « المتوسطة » قصدوا بها أن تكون بمثابة الحل الوسط بين مختلف النسخ ، وعن طريق هذا الوسيط ظهرت التوراة بصورتها[1] الاخيرة ، ولكن بعد إضافات عديدة وإدخال عناصر جديدة .

وعلى ذلك فلا غرابة إذا وجدنا أن العهد القديم يتكون من « مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع ، كتبت هذه الأسفار[2] على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة واعتمادا على التراث المنقول شفويا ، وقد

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٩ .

(٢) يتحدث عن مجموع الأسفار سواء منها الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى ، أو التي كتبت بعد ذلك ونسبت إلى الأنبياء الذين ظهروا بعد موسى حتى مجيء عيسى .

صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار ، بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة ، وفي عصور متباعدة أحيانا[1] » .

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٢٣ .

الأسفار الخمسة سنداً ومصدراً [1]

أشرنا بصورة مجملة إلى مصدر التوراة ، ولكن الأسفار الخمسة ـ دون بقية العهد القديم ـ تحتاج إلى تفصيل أكثر وتحليل أعمق لأنه كثيرا ما يردد اليهود بين الحين والآخر أن الأسفار الخمسة ـ التكوين ، الخروج ، الأحبار ، العدد ، التثنية ـ قد كتبها موسى ـ عليه السلام ـ بيديه قبل أن يموت ، وإسناد هذه الأسفار إلى موسى كتابة يكسبها ميزة خاصة عند اليهود وعند جميع الشعوب المؤمنة ، فهي بهذا السند تكون مقدسة عند الجميع ولا يتطرق إليها شك أو ريبة .

وقد تعمق هذا الشعور فيهم ـ أي عند اليهود ـ لدرجة أنه أصبح أمرا واجبا أن يدافع الكل عن هذا المعتقد دون اعتبار لوجهة النظر الأخرى وما تتضمنه هذه الدعوى المناقضة لرأيهم من حقائق وأفكار .

ولعل الذي جعل هؤلاء يصرون على نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى هو اشتمال هذه الأسفار على بعض النصوص التي تنطق صراحة بكتابة موسى للتوراة ، وهذا في حد ذاته يكون مستندا يستند إليه هذا الفريق في فرض معتقده على عقول الناس ، فقد جاء في سفر الخروج « اكتب هذا ذكرا في الكتاب[2] » وفي سفر العدد « فكتب موسى خروجهم بمراحلهم على حسب أمر الرب[3] » وفي سفر التثنية « وكتب موسى هذه التوراة[4] » .

---

(١) اعتمدت في هذا على ما كتبه موريس بوكاي في كتابه : (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٢٦ وما بعدها) .

(٢) الاصحاح ١٧ : ١٤ .

(٣) الاصحاح ٣٣ : ٢ .

(٤) الاصحاح ٣١ : ٩ .

فهذه الآيات كونت البرهان النقلي المقدس الذي يعتمد عليه اليهود في إثبات كتابة موسى للأسفار الخمسة ، ولكن هذا المعتقد لم يلق قبولا عند جماعة من العلماء المحققين إذ كان لديهم شك في كتابة موسى لهذه الأسفار الخمسة ، لذلك زادوا من أبحاثهم وكثفوا جهودهم وأعادوا قراءة الأسفار مرات ومرات ، وقارنوا بين هذا السفر وذاك السفر ، وأول السفر وآخره حتى توصلوا إلى جملة من الحقائق ـ لا يمكن لأحد إنكارها ـ أكدت ما كان في نفوسهم من شك ، وأصبح الفرض حقيقة ، وأيقن النقاد والعلماء المحققون أن هذه الأسفار الخمسة ـ أو على الأقل أجزاء من كل واحد منها ـ ليس من كتابة موسى ـ عليه السلام ـ وإنما الذي صنفها كتاب آخرون في أزمان مختلفة ونسبوها إلى موسى ترويجا لها وجمعا للشعب المشتت حول هذه الأسفار الخمسة .

فالأب ديفو حين قام بترجمة سفر التكوين قدم له بمقدمة ضمنها الأدلة القوية التي تثبت ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ استحالة تصنيف موسى لهذه الأسفار ، إذ كيف يعقل هذا وسفر التثنية[1] يذكر قصة موت موسى وكيفية دفنه والمكان الذي دفن فيه ؟ وهل يمكن أن يكتب الإنسان قصة موته والمكان الذي دفن فيه قبل أن يموت ؟

وقد أشار (ريشار سيمون) في دراسته للعهد القديم إلى وجود صعوبات تتعلق بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار موسى .

وفي عام ١٧٥٣ م قدم « جان استروك » البرهان الحاسم الذي يؤكد

---

(١) الاصحاح ٣٤ : ٦/٥ .

براءة موسى من كتابة الأسفار الخمسة ، فمن يطالع سفر التكوين سيجد فيه نصين جنبا إلى جنب ومع هذا يحتوي كل واحد منهما على خاصية مختلفة في تسمية الإله ، فنص يسمى الإله بـ « يهوه » والآخر يسميه بـ« « إلوهيم » وهذا يعني أن ذلك السفر قد كتب بعد موسى لأن العلماء يعتقدون أن « القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا ، وأن القصص الخاصة بإلوهيم كتبت في إفرايم[1] » وكلتا المملكتين ـ يهوذا وإفرايم التي كانت تسمى إسرائيل ـ ظهرتا بعد سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وإذن فهذا السفر يرتبط وجوده وتأليفه بهاتين المملكتين وبزمان وجودهما .

وفي موضع آخر نرى ول ديورانت يصرح بأن أسفار موسى قد كتبها جماعة من الأنبياء والكهنة ، فيقول : « ولقد بقيت فكرة التاريخ ـ كما تصورها الأنبياء والكهنة واضعو أسفار موسى الخمسة ـ ألفي عام بعد اليونان والرومان وأصبحت آراء عالمية يعتنقها المفكرون الأوروبيون[2] » .

ولو لاحظنا أن « يهوه » يرمز إلى فترة معينة من الزمان ، وأن « إلوهيم » يرمز إلى فترة أخرى من الزمان تلي الفترة التي شاع فيها « يهوه » لو لاحظنا هذا لأدركنا مدى الاختلاف الواقع في سفر واحد ينسب إلى موسى عليه السلام .

فالنص الأول الذي ارتبط بالاسم « يهوه » كتبه كاتب يختلف في فكره وثقافته عن كاتب النص المرتبط بالاسم « إلوهيم » والنص الأول يشير الى معتقد جماعة من الناس يختلف عن معتقد جماعة النص الثاني « إلوهيم » .

وعلى كل فلم يكن هذا الاختلاف واقعا في سفر التكوين فقط ، وإنما

---

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٨٦ .

كـان لـه نـظير في الأسفـار الأخـرى ، ففي عـام ١٧٨٠ ـ ١٧٨٣ م خـرج « ايخهـورن » على النـاس باكتشـاف جديـد يتضمن أن كـل سفـر من الأسفـار الأربعة الأخرى يحتوي على نصين مختلفين .

وهـذا الاكتشاف الجـديد يعني أن لكـل نص كـاتبـا يختلف في مشـارب ومآربه عن كاتب النص الآخر ، وأن لكل نص منهما ظروفه الخاصة ، وأن كل نص منهـما يرتبط بـزمن يختلف عن زمن كتـابـة النص الآخـر ، فكيف يكـون موسى قد كتب هذه الأسفار الخمسة بيده وهي لا تلتقي عند زمن معين ، زمن حياة موسى ؟ ولا ترتبط بفكر واحد هو ذلك الفكر الذي أوحاه الله إلى مـوسى عليه السلام ؟

وفي عـام ١٧٩٨ م عمـد البـاحث المحقق « إيلجن » إلى تحليـل النص الـذي يسمى الإله بـ « إلـوهيم » فـاذا بـه يكتشف أن هـذا النص ينقسم هـو الآخر إلى قسمين مختلفين مما يؤكد أنه ـ هو الآخر ـ كتب على مرحلتين مختلفتين بأيدي كتبة مختلفين فكرا وبيئة مما قد يكون له أثر في اختلافهما عقيدة .

ثم توالت الأبحاث وزاد العلماء من كثـافتها فتـوصلوا في عام ١٨٥٤ الى أن هذه الأسفار الخمسة لها أربعة مصادر هي :ـ

١ ـ الـوثيقـة اليهـويـة ، وقـد سميت بهـذا الأسم لأن الإلـه فيهـا يسمى بـ « يهوه » ، وكانت هـذه التسمية شـائعة في مملكـة الجنوب ـ مملكـة يهوذا وعاصمتها أورشليم ـ في القرن التاسع قبل الميلاد ، وأما مـوضوع الـوثيقة هذه ، فهو الحديث عن الفترة الزمنية التي تبدأ من أصل العالم وبدء خلقه حتى موت يعقوب عليه اسلام .

٢ ـ الـوثيقـة الإلوهيميـة ، وقـد سميت بهـذا الاسم لأن الإلـه فيهـا يسمى بـ « إلوهيم » وكانت هذه التسمية شائعة في مملكة الشمال ـ مملكـة إفرايم

أو إسرائيل وعاصمتها السامرة ـ وأما زمانها فهو أقرب من الوثيقة اليهوية . وقد كان موضوع هذه الوثيقة هو الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف[1] عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

٣ ـ سفر التثنية ، وهذا قد صنف في القرن الثامن قبل الميلاد كما هو رأى أدموند جاكوب ، أما الأب ديفو فيري أن هذا السفر ينتمي في كتابته إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وأياما كان الأمر فـ « أكبر الظن أن كاتبه أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر[2] » وبالتالي فموسى براء من كتابة هذا السفر كما أنه بريء من كتابة الوثيقتين السابقتين .

٤ ـ النص الكهنوتي ، وهذا يتألف من فصول أضافها الكهنة ، وينتمي هذا النص إلى عصر النفي ـ أي نفي اليهود إلى بابل ـ أو ما بعد النفي وهو القرن السادس قبل الميلاد .

وبعد أن وضحت الصورة أمام العلماء أعادوا البحث مرة أخرى في هذه الوثائق كل على حدة ، حتى إذا ما جاء عام ١٩٤١ إذا بالعالم « أ . لودز » يعلن أن الوثيقة اليهوية تتضمن ثلاثة مصادر ، والإلوهيمية تتضمن أربعة مصادر ، وسفر التثنية يشتمل على ستة مصادر ، أما النص الكهنوتي فيقوم على تسعة مصادر .

فاذا كانت الوثائق الأربع تشكل المصدر الرئيسي للتوراة المنسوبة الآن

---

(١) الوثيقة الأولى هي التي تسمى بالنص العبري ، أما الوثيقة الثانية فهي التي تسمى بالنص السامري ، فإذا علمنا أن العبريين يشككون في توراة السامريين ، والسامريون يشككون في توراة العبريين أدركنا أن الوثيقتين بينهما شيء ما من التضاد والتناقض ، وبالتالي فأي سفر أو كتاب يعتمد علي هاتين الوثيقتين يكون متضاربا متناقضا .

(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٦٧/٣٦٨ .

إلى موسى ، وهذه الوثائق لها مصادر متعددة وصلت في جملتها إلى اثنين وعشرين مصدرا ، إذن فالتوراة المنسوبة إلى موسى الآن لها اثنان وعشرون مصدرا ، وتعدد المصادر واختلاف أزمانها دليل صريح على تعدد الكتبة للأسفار الخمسة ، وبالتالي فهذه التوراة التي تقوم على هذه الوثائق المتعددة والكتبة المتعددين لا تكون هي توراة موسى ـ عليه السلام ـ التي كتبها بيديه في زمن نزولها عليه ووقت حياته .

كما أن تعدد المصادر وتعدد الكتاب وامتداد كتابة الأسفار الخمسة إلى ثلاثة قرون ، كل هذا يجر « تنافرات وتكرارات عديدة في هذه النصوص . . . وبهذا يتضح تكون أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة جمعها بشكل يقل أو يزيد حذقا محررون وضعوا تارة ما جمعوا جنبا إلى جنب ، وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة تاركين للعين أمورا غير معقولة وأخرى متنافرة كان من شأنها أن قادت المحدثين الى البحث الموضوعي عن المصادر[1] » .

ولا شك أن التوراة ـ الأسفار الخمسة ـ التي كتبت على مدى ثلاثة قرون سيكون أولها كتابة وزمنا مختلفا في أسلوبه ولغته وفكره عما كتب منها وسط الزمان وآخر الزمان ، لأنه كلما جاء جيل أدخل تعديلات وتصحيحات وتكميلات على ما كتبه الجيل السابق ، يدل على هذا ما أعطاه الأب ديفو من « أمثلة على تعقد هذه الأقوال الموروثة الخاصة بالخلق وأنسال قابيل والطوفان واختطاف يوسف وما جرى له بمصر والاختلافات الخاصة بأسماء شخص واحد ، والتصويرات المختلفة للأحداث الهامة[2] » .

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وحقا ما يقوله الأب ديفو ، ففي هذه الأسفار من التعقيدات والتناقضات ما لا يسمح بنسبة هذه الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام ، وإنما يسمح فقط بنسبتها إلى الكهنة الذين جاءوا من بعده .

ففي أثناء الحديث عن توراة موسى ـ تاريخيا ـ وكتابتها ووضعها في التابوت استشهدنا ببعض النصوص من سفر التثنية ، فإذا كان سفر التثنية هو أحد أسفار التوراة الخمسة فكيف يكون منها ثم يتحدث عن وضع موسى له ولبقية الأسفار في التابوت ؟ وكيف يعرف سفر التثنية بوصية موسى للكهنة مع افتراض أنه نزل على موسى مع بقية الأسفار الأخرى ؟

إن قصة وضع التوراة في التابوت لا تكون إلا بعد نزول التوراة كلها بما فيها سفر التثنية ـ وهي هكذا نزلت جملة واحدة ـ لذلك فالراجح عندي أن التوراة التي في أيدي اليهود اليوم هي توراة أخرى غير التوراة التي كتبها موسى ـ عليه السلام ـ ووضعها في التابوت .

أيضا ما جاء في سفر الخروج من مثل « جاء موسى » « وقص على الشعب » « فكتب موسى » « وبكر في الغداة » كل هذه الجمل يدل دلالة صريحة على أن هذا السفر ليس من كتابة موسى وإنما كتبه غيره ونسبه الى رسول الله موسى عليه السلام . إذ لو كان موسى هو كاتبه لقال « جئت » « قصصت » « كتبت » . . الخ .

وفي سفر العدد[1] جاء قول التوراة « وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » كما جاء في سفر الخروج[2] قول

---

(١) الاصحاح ١٢ : ٣ .

(٢) الاصحاح ١١ : ٣ .

التوراة « وآتى الرب الشعب حظوة في عيون المصريين وكذلك موسى كان عظيما جدا في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وفي عيون الشعب » ولا يعقل أن يقول موسى عن نفسه « الرجل موسى كان حليما » « الرجل موسى كان عظيما » فالأنبياء مثل راق في سمو الأخلاق والتواضع فلا يعقل أن يفتخر موسى ويتعالى بمثل هذه الكلمات التي نسبت إليه ، فما هي ـ أي هذه الكلمات ـ إلا شهادة طيبة لموسى من كاتب هذا السفر .

وفي التوراة شواهد جغرافية لم تكن معروفة في حياة موسى[1] ، إذ أنها لم توجد إلا بعده ، وما فيها من مصطلحات جغرافية يدل على أن كاتب هذا السفر كان مقيما في شرق الأردن ، وموسى لم يدخل ـ بعد نزول التوراة عليه ـ إلى هذه الأماكن لأنه مات في فترة التية التي كانت بسيناء .

كذلك في التوراة اصطلاحات فلكية لا تصدر إلا من فلسطين (أرض الكنعانيين) ولا يجوز أن تصدر من سيناء ، وذلك مثل لفظ « نجب » = « جنوب[2] » ، « يم = بحر = الغرب[3] » .

أيضا في التوراة تعبيرات تاريخية لم تكن معروفة في زمن موسى مثل اسم مدينة « دان[4] » فهذا الاسم لم يكن معروفا وقت حياة موسى عليه السلام .

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح ٥٠ : ١١/١٠ وسفر العدد ، الاصحاح ٢٢ : ١ والاصحاح ٣٢ : ٣٢ والاصحاح ٣٥ : ٩ ـ ١٤ وسفر التثنية ، الاصحاح ١ : ١ ، ٥ والاصحاح ٣ : ٨ والاصحاح ٤ : ٤٦ ـ ٤٩ .

(٢) سفر الخروج ، الاصحاح ٢٦ : ١٨ .

(٣) سفر الخروج ، الاصحاح ٢٦ : ٢٢ .

(٤) سفر التكوين ، الاصحاح ١٤ والاصحاح ١٨ : ٢٩ ، وسفر التثنية ، الاصحاح ٣٤ : ١ .

ومجموعهة القرى المعروفة باسم (يائير[1]) لم تظهر إلا في عصر القضاة[2] .

كل هذه شواهد من داخل الأسفار الخمسة تدل دلالة واضحة على أن هذه الأسفار كتبت بعد موسى ـ عليه السلام ـ بزمن بعيد[3] .

وإذن فمجموع الشواهد يقف بنا عند نتيجة حتمية هي : أن الأسفار الخمسة الحالية ليس كاتبها هو موسى ـ عليه السلام ـ وليس لها كاتب واحد وإنما كتبة متعددون ، ولم تكتب في زمن واحد وإنما كتبت في أزمان مختلفة متعددة ومتباعدة . وأن هؤلاء الكتبة لم يلتزموا الحياد والدقة في كتاباتهم وإنما كانوا متأثرين بالبيئة والأحداث من حولهم .

والجدول[4] التالي يبين كيف كان تعدد المصادر في سفر واحد هو سفر التكوين ، مما يؤكد أن الأسفار كلها ذات مصادر متعددة ، وبالتالي ليست من تصنيف موسى .

---

(١) سفر العدد ، الاصحاح ٣٢ : ٤١ وسفر التثنية ، الاصحاح ٣ : ١٤ .
(٢) سفر القضاة ، الاصحاح ١٠ : ٤ .
(٣) د/ فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ص ٤٢ .
(٤) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٣٢ .

الإصحاح	آية	الإصحاح	آية	نوع النص
١	(١)	٢	(٤أ)	الكهنوتي (ك)
٢	(٤ب)	٤	(٢٦)	اليهوي (ي)
٥	(١)	٥	(٣٢)	ك
٦	(١)	٦	(٨)	ى
٦	(٩)	٦	(٢٢)	ك
٧	(١)	٧	(٥)	ى
٧	(٦)			ك
٧	(٧)	٧	(١٠)	ى معدل
٧	(١١)			ك
٧	(١٢)			ى
٧	(١٣)	٧	(١٦أ)	ك
٧	(١٦ب)	٧	(١٧)	ى
٧	(١٨)	٧	(٢١)	ك
٧	(٢٢)	٧	(٢٣)	ى
٧	(٢٤)	٨	(١٢)	ك
٨	(٢ب)			ى
٨	(٣)	٨	(٥)	ك
٨	(٦)	٨	(١٢)	ى
٨	(١٣أ)			ك
٨	(١٣ب)			ى
٨	(١٤)	٨	(١٩)	ك
٨	(٢٠)	٨	(٢٢)	ى

ويعلق موريس بوكاي بعد هذا الجدول فيقول :

« أي تصوير أوضح من هذا يمكن أن نعطيه لتعديل الناس إلى [1] كتب التوراة ؟

واذن فالمحصلة النهائية لهذه الأقوال والشواهد والجداول أن الأسفار الخمسة الحالية قد مرت بمراحل مختلفة في تدوينها ، بدأت بمرحلة التراث الشعبي القائم عل الأغاني والأناشيد والأمثال والحكم التي دونت بعد استقرار الشعب الإسرائيلي بأرض كنعان ، ومن مجموع هذه المدونات كتبت نسخ متعددة للتوراة كانت مختلفة فيما بينها ، وعن طريق هذه النسخ أمكن إخراج نصوص أشبه بالحل الوسط بين مختلف النصوص ، ثم عن طريق هذه النسخ الوسيطة ظهرت الكتب التي في يد العالمين اليهودي والنصراني في عصرنا الحاضر .

وعلى هذا فالتوراة اليوم ليست هي التوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وما هي إلا مجموعة من التراث الشعبي الذي يحكي قصة بني إسرائيل في حياتهم المختلفة ما بين استقرار وتشرد ، وحرب مع الكنعانيين ، وأخرى مع الأشوريين ، وثالثة مع البابليين . . الخ ، أضيف إليها قليل مما نزل على موسى مكتوبا بأيدي الكهنة وذلك لصبغ هذه الكتابات بالصبغة الدينية المقدسة ، لتكون مقبولة عند بني إسرائيل على أنها الوحي الذي نزل على موسى وهي في حقيقة أمرها ليست من الوحي الإلهي في شيء .

والتوراة العبرية التي هي بين أيدي الناس الآن ؛ ويؤمن بها اليهود ومن يدين بدينهم ليست هي التوراة التي نزلت على موسى ولسبب جوهري صحيح

(١) لعله يريد حرف الجر (في) فهذا هو الذي ينسجم مع النص .

هو أن هذه التوراة جاءت باللغة العبرية ، والعبرية لم يعرفها موسى ، ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسى ، فهو ـ عليه السلام ـ عاش وتوفى قبل أن توجد العبرية ويعرفها الإسرائيليون .

ولو سلمنا أن موسى وسائر الإسرائيليين الذين كانوا مقيمين في مصر لم يتكلموا المصرية فإنهم أيضا لم يتكلموا العبرية بل الآرامية ، والصحيح الذي ترجحه الشواهد ـ من استقرار موسى والإسرائيليين بمصر سنين كثيرة وتحادثهم مع أهلها باللغة المصرية ـ أن صحف موسى وتوراته لم تدون في العبرية بل في المصرية القديمة[1] .

وعلى هذا فإن القرآن الكريم حين نسب التبديل والتحريف إلى التوراة كان صادقا[2] في هذا الحكم لأنه وحي إلهي نقل نقلا صحيحا وصادقا .

وإذ عرفنا أن التوراة التي بأيدي اليهود اليوم لم تنقل عن موسى ـ عليه السلام ـ نقلا متواترا، وثبت أنها كانت محصلة تطور تاريخي وشعبي، وأنه كان للكهنة والحكام والكتبة أثر في ظهورها بهذا الشكل الجديد ، وثوبها الحالي ، حيث عرفنا هذا أصبح أمرا مسلما أن توراة اليوم ساقطة السند مخلخلة النقل ، وبذلك لا تصح أن تكون كتابا دينيا يعتمد عليه في بناء أمة وإصلاح مجتمع وإقامة دين .

---

(١) د/ فؤاد حسنين علي ، التوراة الهيروغليفية ص ٥٧ ـ ٥٩ ، والمؤلف يرجح هذا الرأي استنادا إلى ما يعتقده من وجود صلة وثيقة بين التوراة والعقيدة المصرية التي بشر بها أخناتون ، كما أن موسى ومن معه عاشوا في مصر وتكلموا المصرية قراءة وكتابة ، ومقتضى هذا أن تنزل التوراة باللغة التي يعرفها من نزلت عليه .

(٢) لا شك أنني مؤمن بصدق القرآن في هذا الحكم قبل وجود هذه الشواهد ، وإنما لجأت إلى هذه الصيغة مجاراة للخصم ، وإلزامه الحجة بما في كتابه من شواهد دالة على الدعوى التي نحكم بها عليه .

وبعد أن عرفنا حقيقة التوراة من ناحية السند والنقل نأتي إلى الحديث عن التوراة متنا ونصا حتى نتبين : هل صحيح أن التوراة بها تحريف وتزييف في نصوصها كما يعتقد البعض هذا ؟ أم أنها صحيحة المتن صادقة النص كما هو معتقد اليهود وأهل الكتاب كلهم ؟ هذا هو موضوعنا التالي .

التوراة نصاً ومتناً

عرفنا أن توراة موسى قد ضاعت وتبين فقدها في عهد سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ ، وبعد مئات السنين بدأت محاولات الكهنة لإخراج نسخة جديدة من التوراة ، مرة على يد الكاهن حلقيا ، ومرة أخرى على يد عزرا ،وكانت المصادر التي رجع إليها الكهنة في كتابة هذه النسخ هو مافي الذاكرة من بقايا توراة كانوا يخفونها ، خلطوها بروايات وحكايات وأساطير سمعوها من هذا ومن ذاك .

من هنا فإن أي توراة ظهرت بعد موسى ـ عليه السلام ـ لا تستحق الثقة بها فمصادرها ليست وحيا إلهيا وكتبتها ليسوا بأنبياء ، وإلا ما كان بها إسفاف عقائدي من موروثات البيئات المختلفة .

أيضا قد ثبت بالبرهان ، وباعتراف العلماء المحققين ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أن أي توراة جاءت بعد موسى ـ عليه السلام ـ لا تقوم على نقل صحيح ، وليس لها سند متواتر ، والتوراة التي بهذه الصورة تكون توراة أخرى غير التوراة التي نزلت على موسى ، حيث تدخلت أيدي الأحبار والكهنة ، وتأثرت بما حل ببني إسرائيل من حروب ودمار وتشريد .

لذلك فهذه التوراة ليست معصومة من الخطأ ، وليست معصومة من التحريف ، والبحث الجاد المحايد يخرج كثيرا مما فيها من تضارب وتناقض ، وأخطاء فاحشة دست في هذه التوراة حتى أصبح كلام البشر بها أكثر من كلام الله تعالى ، والتضارب أكثر من التطابق والتناسق .

وقد سجل القرآن الكريم ـ الذي جاء مصدقا ومهيمنا على ما سبقه

من كتب ـ هذا التحريف في بعض آياته فقال سبحانه وتعالى :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[1]

وقال أيضا عن بني إسرائيل :

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

وقال عز وجل :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[3] .

فهذه الآيات وغيرها ينسب التحريف إلى التوراة ، ويصف أهلها بارتكاب هذا التحريف بالإضافة إلى كتمانهم الحق الذي في كتاب الله ـ التوراة ـ كما أنهم كانوا ينسون حظا من هذا الوحي الإلهي .

والمسلمون جميعا متفقون على وقوع التحريف في التوراة ، لكنهم مختلفون في نوع هذا التحريف الواقع في التوراة على ثلاثة آراء هي :

الرأي الأول : يرى أصحاب هذا الرأي أن التوراة كلها ـ وقيل

---

(١) البقرة : ٧٥/٧٦ .

(٢) المائدة / ١٣ .

(٣) المائدة / ٤١ .

أكثرها ـ مبدلة مغيرة ، فالتوراة التي نزلت على موسى لا تطابق بينها وبين توراة اليوم في شيء ، بل ولا تقارب بينهما من قريب أو من بعيد ، وما قد يكون في توراة اليوم من نذر يسير يعود إلى توراة موسى فليس بالقدر الذي يصح معه أن نسمي ما كتبه الأحبار والكهنة توراة حتى لا يشبته الباطل بالحق .

ولا شك أن هذا الرأي فيه شيء من التطرف البعيد ، فلا يعدم الأمر أن يكون بالتوراة حكما عقائديا أو شرعيا أو أخلاقيا . . الخ مما نزل على موسى عليه السلام ، وبخاصة أن محمدا ـ ﷺ ـ كان يحاججهم في بعض القضايا بالتوراة التي كانت في أيديهم في ذلك الوقت ، وهذا يؤكد أن بالتوراة بعض الأحكام أو بعض القضايا الصحيحة .

الرأي الثاني : وهو رأي البخاري والرازي ويميل إليه ابن كثر في تفسيره للفظ التحريف ، وهذا الرأي يقول بأن التبديل وقع فقط في التأويل لافي النص المنزل ، فمعنى تحريف الكلام عن مواضعه عند هذا الفريق « يتأولونه على غير تأويله » وقد أخذ بهذا الرأي جماعة من أئمة الحديث والفقه والكلام .

وإذا كان الرأي الأول فيه تطرف وإفراط ، فهذا الرأي فيه تساهل وتفريط ، فلفظ التحريف صريح ولا يؤخذ بغيره إلا بوجود قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره ، وليس هناك قرينة تستدعي ذلك ، على أنه تعالى قال في آية ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ وفي الآية الأخرى قال ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ والحرف « عن » للمكان ورفع شيء عن شيء ، ولفظ « بعد » ظرف مكان ، وكلا اللفظين يرجحان أن يكون التحريف بمعنى التبديل لا التأويل ، ويقوي هذا ما جاء في كتاب الإنصاف حيث قال في

معنى التحريف ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ أي ينقلونه عن الموضع الذي وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره إلى غير الموضع فبقي كالغريب المتأسف عليه[1] .

الرأي الثالث : وأصحابه يرون أن التوراة حرفت بمعنى بدلت وغيرت ، لكن ما غير كان ألفاظا يسيرة ، وجملا قليلة ، أما أكثر التوراة فباق على ما نزل عليه من الله تعالى ، وهذا الرأي يمثل قولا وسطا بين إفراط وتفريط ، فلا ينفي الصحة عن التوراة كلية ، ولا ينفي التبديل اللفظي كلية .

والصحيح الذي أعتقده ـ ولي عليه شواهد ودلائل كثيرة ـ أن التحريف هو وقوع التبديل والتغيير والحذف والإضافة في التوراة ، وأن هذا كان في أجزاء كثيرة من التوراة ، والقليل منها هو الذي سلم من التحريف وبقي على ما نزل عليه ، ولعل ما ذكرناه سابقا في موضوع سند التوراة وطريقة نقلها من جيل إلى جيل يؤكد هذا الرأي الذي رجحته ، فقد اعتمد كاتبوا التوراة التي كانت بعد موسى على الملاحم الشعبية والأساطير الخيالية ، ومعتقدات البابليين والقدماء المصريين ، وهذا ليس له معنى إلا أن التحريف مقصود به التبديل في الكلمات والمعاني والأفكار والمعتقدات .

وإذا كان بعض علماء المسلمين قد تحرجوا من نسبة التحريف اللفظي إلى التوراة فإن أهل الكتاب أنفسهم معترفون بوقوع هذا

---

(١) أحمد بن محمد المنير الإسكندري المالكي ، الإنصاف فيماتضمنه الكشاف من الإعتزال (والكتاب مطبوع أسفل تفسير الكشاف ـ دار المعرفة ـ لبنان ـ بيروت) جـ ١ ص ٥٣١ .

التحريف في التوراة ـ وستأتي الأمثلة الدالة على هذا ـ حيث نصوا في تفسيراتهم وشروحهم لكتب العهدين ـ القديم والحديث ـ على أن التوراة قد زيد وأنقص منها ، وهذا هو التحريف اللفظي بعينه .

براهين وشواهد التحريف في التوراة

من دراسة العلماء للتوراة في أزمانها المختلفة وعصورها المتعددة تبين لهم أن هذه التوراة قد عدت عليها عاديات الزمان ، وحقد النفوس ، وكراهية بني إسرائيل لغيرهم ، وكراهية الغير لهم ، ونتيجة لهذا اشترك بنو إسرائيل والشعوب الأخرى في تحريف هذه التوراة .

« ولقد جاء في المجلد الأول من تفسير هنري واسكات أن أكستائن كان يقول : أن اليهود قد حرفوا النسخة العبرية في بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى ـ عليه السلام ـ وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحي ، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون أن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة وثلاثين من السنين المسيحية[1] » .

ولا شك أن التحريف الذي يترتب عليه إبطال ترجمة يكون في الألفاظ قبل أن يكون في المعاني .

وقال هورن في المجلد الثاني من تفسيره « لو لاحظنا أمورا أخرى لاقتضى الكل أن اليهود حرفوا التوراة قصدا ، وأن ما قاله محققو كتب العهد العتيق والجديد أن السامريين حرفوه قصدا لا أصل له »[2] ولكي

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٣٤٣ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٤ .

يحكم العلماء على النص العبري أو السامري بأنه محرف فإن هذا لا يتحقق إلا إذا كان النص ذاته محرفا حتى يمكن مقارعة الحجة بالحجة إذ أن التحريف في المعنى لا يتحقق فيه هذا الجانب من الإحتجاج .

والسامريون كانوا يقولون : توراتنا هي الصحيحة ولم يقولوا تأويلات توراتنا ، وكذلك العبريون حين نصوا على صحة توراتهم قالوا توراتنا صحيحة ولم يقولوا معاني توراتنا هي الصحيحة .

ويقول آدم كلارك في تفسيره ص ٨١٧ من المجلد الأول « أن المحقق كنى كان يدعي صحة السامرية ، والمحققان ، (باري) (ودرشيور) » يدعيان صحة العبرانية لكن كثيراً من الناس يفهمون أن أدلة كنى كات لا جواب لها ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامرين »[1] .

وإذن فالعداوة التي كانت بين اليهود والنصارى ، وبين اليهود العبريين واليهود السامريين ، وقصد إبطال الترجمة اليونانية ، كانت بعض الدوافع التي كمنت في نفوس بني إسرائيل وحفزتهم لتحريف التوراة ، ولا يتحقق العناد ، وإبطال نسخة بنسخة ، وإبطال كتاب بكتاب ، إلا إذا كان هذا قائما على تغيير النصوص أولا ، وتبديل الألفاظ وزيادتها . ويعلق أحد الكتاب في عصرنا الحاضر على ما في التوراة من تحريفات وتناقضات وأوهام فيقول :

« إذا أردنا أن نكون موضوعيين فلا بد أن نقبل أن هذه النصوص التي وصلت إلينا ـ يقصد التوراة ـ لا تمثل تعبير الحقيقة ، هل أنزل الله

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٥ .

شيئا غير الحقيقة . . . ؟ الواقع أنه من غير الممكن تصور فكرة إله يعلم الناس بالإستعانة بأوهام بل بأوهام متناقضة ، وطبيعي أن يثير ذلك افتراض وجود تحريف بواسطة البشر إما في الأقوال المتوارثة التي انتقلت شفهيا من جيل لآخر أو في النصوص بعد تحديد هذه الأقوال المتوارثة ، وعندما نعرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون فكيف ندهش حين نجد فيه أمورا غير معقولة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء[1] » .

واليهود تدعي أن توراتهم كانت بطول مملكة بني إسرائيل ، وأنها كانت عند الكاهن الهاروني الأكبر وحده[2] ، ولكننا اليوم نراها ليست بهذا الطول وذاك الحجم مما يدل على واحد من أمرين :

١ ــ إما أن التوراة الموجودة اليوم قد أسقطت منها فصول كثيرة بحيث أصبحت بعيدة الشبه عن التوراة الأولى ، وهذا الإسقاط من الأصل ـ إسقاط الجمل والفصول ـ تحريف من أسوأ أنواع التحريف .

٢ ــ أو أن النسخة الأصلية ليس لها أثر فوضعوا توراة أخرى مكانها ، وإنما كانت بهذا الحجم الذي هي عليه اليوم لأن هذا ما تذكروه منها وما استطاعوا إضافته إلى ماتذكروه .

واليهود معترفون بأن الكهان السبعين قد اجتمعوا بعد عيسى ـ عليه السلام ـ في عهد القياصرة واتفقوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة ، وإذا أجازوا لأنفسهم أن يغيروا في التوراة ولو جزءا يسيرا أجاز

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٥٤ .

(٢) ابن القيم ، هداية الحيارى ص ١٤٨ .

هذا عليهم التبديل في بقية الأجزاء[1] .

وهذه التوراة السبعينية قد ترجمت إلى اللغة اليونانية ، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وظلت معتمدة حتى القرن السابع بعد الميلاد ، وهذا يعني أنه على مدى ألف سنة كانت هذه التوراة المحرفة متداولة بين الناس ، والكهان يعرفون بها ويقرون بصحتها ويعملون بموجب نصوصها .

والشواهد الدالة على تحريف التوراة كثيرة منها ماجاء في سفر التثنية :[2]

« فتوفى موسى عبدالله بذلك الموضع في أرض مؤاب مقابل بيت فغور » ثم قال الكاتب بعد ذلك « ولم يعرف قبره إلى يومنا هذا » فهل ينزل الوحي من الله على موسى بموته ودفنه وتحديد مكان هذا الدفن وهو مازال حيا لم يمت يتلقى الوحي من الله تعالى ؟ وكيف يقال إنه دفن أمام بيت فغور ثم يقال إنه لم يعرف أحد بذلك الموضع إلى اليوم ؟ فهذا الذي قال أن موسى دفن أمام بيت فغور ألم يكن واحدا من الذين عرفوا بذلك ؟

ويكفي دلالة على تحريف التوراة وبراءة موسى من توراة اليهود اليوم ، أن هذه التوراة قد وصفت الله سبحانه وتعالى بأوصاف لا يصح نسبتها إلى خالق السموات والأرض ومبدع الكون كله .

فلقد أنزلت التوراة رب العالمين من عليائه وأجلسته على كرسي

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٨ .

(٢) الإصحاح ٣٤ : ٥/٦ .

فرأى الحاضرون ربهم جهرة ، وشاهدوا الكرسي الذي كان جالسا عليه كالبلور في نقاوته « ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من بلاط سمنجوني وشيء أشبه بالسماء في النقاء . وعلى مختاري بني إسرائيل لم يمدد يده[1] » « ويكلم الرب موسى وجها إلى وجه كما يكلم المرء صاحبه »[2]

والإله في التوراة التي بعد موسى يحتاج إلى مكان مقدس يسكن فيه حتى يكون في وسط بني إسرائيل » . « فيصنعون لي مقدسا لأسكن فيما بينهم »[3] .

ولما أراد الله أن يعاقب المصريين على وثنيتهم وكفرهم لم يمكنه ذلك لأن بني إسرائيل كانوا مخالطين لهم ، وحتى لا يقع هذا العقاب ببني إسرائيل طلب الرب منهم أن يميزوا بيوتهم عن بيوت المصريين بعلامة واضحة حتى يراها فلا ينزل عقابه ببني إسرائيل لأن الله قرر « أن يجتاز في أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم[4] » ومن أجل هذا طلب الرب من بني إسرائيل أن يميزوا بيوتهم عن بيوت المصريين بوضع دماء الكباش على قائمتي البيت وعتبته[5] العليا .

---

(١) خروج ٢٤ : ٩ - ١١ .
(٢) خروج ٢٢ : ١١ .
(٣) خروج ٢٥ : ٨ .
(٤) خروج ١٢ : ١٢ .
(٥) خروج ١٢ : ٧ .

وصورت التوراة رب العالمين بمن يعمل عملا فيراه مشينا ومعيبا فيندم على ما كان منه وما صدر عنه « فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه[1] » .

والله في توراة اليوم قد دعا إلى النصب والاحتيال وحرض على الكذب والسرقة وظلم الناس بغيا وعدوانا ، فهو سبحانه ـ كما ذكرت التوراة ـ قد أمر بني إسرائيل « أن تطلب كل امرأة منهم ـ أي من نسائهم ـ من جارتها أو من نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[2] »

فهل يعقل أن مثل هذه النصوص والكلمات والترهات الكاذبة قد صدرت عن الله تعالى أم أن الصحيح أنها صادرة عن أناس حاقدين على الله كافرين به ؟ وهل يعقل أن يصدر هذا عن موسى ـ عليه السلام ـ الذي اختاره الله رسولا ؟ أم أن الصحيح أن هذا صادر عن جماعة كفروا بالله ورسوله ؟

ولأن هذه الأمور من العقائد الفاسدةا لمدسوسة على موسى فقد قال « بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله إلى الإسلام :

« لسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى »[3]

ولقد اتهمت التوراة رسل الله ـ المصطفين الأخيار ـ بصفات يتنزه

---

(١) سفر الخروج ٣٢ : ٩ ـ ١٤ .

(٢) سفر الخروج ٣ : ٢٢ .

(٣) ابن القيم ، هداية الحيارى ص ١٥١ .

عنها الإنسان العادي ، حتى الذين كتبوا هذه التوراة يأنفون أن يكونوا بمثل هذه الصورة ، فما بالك برسل الله الذين اختارهم واصطفاهم لقيادة بني إسرائيل إلى طريق الخير وحثهم على حسن الأخلاق ونهيهم عن سيء الأعمال ؟

فنبي الله لوط يقع في جريمة الزنا ، وبمن ؟ بابنتيه ، وهارون هو الذي صنع العجل للشعب الإسرائيلي ليعبدونه من دون الله تعالى ، ويعقوب تصارع مع الله فصرع يعقوب خالقه وموجده ؟

فهل يمكن أن تكون هذه الأقوال صادرة عن رب العالمين ؟ وهل يمكن أن تصدر هذه الإتهامات من موسى على ربه وعلى نفسه وعلى إخوته من الرسل والأنبياء ؟

الآن أعتقد أن هذه البراهين والاعترافات والشواهد أكدت ما قلناه سابقا من أن التحريف في التوراة كان تحريفا لفظيا ومعنويا ، وما نقلناه من نصوص التوراة يدل على ذلك دلالة صريحة وواضحة .

أنواع التحريف التي نسبها القرآن إلى التوراة :

وردت بالقرآن الكريم بعض الآيات التي تحدثت عن بعض أنواع التحريف التي أوقعها بنو إسرائيل بالتوراة التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى ـ عليه السلام ـ من ذلك :

١ ــ إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق :

فلقد كان بنو إسرائيل ـ شعبا وكهنة ـ يلبسون الحق بالباطل

والباطل بالحق ، فيخلطون هذا بذاك تضليلاً للناس ، وصرفا لهم عن الحق ،وإيقاعهم في الباطل لهدف في نفوسهم يبغون تحقيقه ، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجرم الشنيع عليهم فقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[1] قال ابن عباس لا تخلطوا الحق بالباطل ، والصدق بالكذب[2]، والزمخشري يحدد المقصود من إلباس الحق بالباطل بأنهم كانوا يكتبون في التوراة ما ليس منها[3] .

روي أن بني إسرائيل كانوا يجعلون الحلال حراما والحرام حلالا . والحق باطلا والباطل حقا ، فإذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق ، فالكهنة كانوا يخرجون التوراة لمن جاءهم برشوة كشاهد يقرهم على ما يفعلون ، فإن جاءهم أحد يسألهم شيئا ليس له حق ولا رشوة ولا شيء أمروه بالحق فنزل قول الله تعالى :

﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4] .

ومن أبلغ الصور وأوقعها على إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق ، ادعاء هذه التوراة التي كتبها الكهنة والأحبار أن هارون ـ عليه السلام ـ هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة

---

(١) آل عمران / ١٧ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٨٤ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ، جـ ١ ص ٢٧٧ .

(٤) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير اتلطبري) ، جامع البيان في تفسير القرآن (دار المعرفة ـ لبنان) (ط ١) جـ ١ ص ٢٩١ .

العجل الذهبي ووافقهم على عبادته من دون الله تعالى ، في نفس الوقت الذي يبرئون فيه السامري من هذا الجرم الشنيع ، تقول التوراة : « ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى ، الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : إنزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا ، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ، ونادى هارون وقال غدا عيد الرب فبكروا في الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب »[1] .

فهارون الذي تحمل المشاق والمتاعب في سبيل إقرار فرعون بالوحدانية يجعلونه صانع أصنام ، وهارون الذي عرض حياته ووجوده لاضطهاد فرعون وانتقامه منه لأنه يعلي كلمة الله يجعلونه داعية إلى الشرك والكفر ، أما السامري الفاعل الحقيقي ، والداعي شعبه إلى الشرك والوثنية يبرئونه من هذا الكفر العلني ، ولكن القرآن الكريم كان لهؤلاء الكهنةوالكتبة بالمرصاد ففضحهم ، وبين حقيقة أمرهم ، فبرأ هارون مما نسب إليه ، وكشف للناس عن الفاعل الحقيقي فقال سبحانه ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن

(١) سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٦ .

يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا
حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا
جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ
قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم
بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ
إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾
قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ
عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[1] .

٢ ــ كتمان الحق :

فمما لا شك فيه أن الله حق ، ولا يقول إلا حقا ، والتوراة التي نزلت على موسى كلها حق لأنها كلام الله تعالى ، ولكن بني إسرائيل كانوا يكتمون الحق قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله تعالى لأهوائهم وأغراضهم ، فآيات التوراة التي يرون فيها منفعة قريبة تعود عليهم يقرونها ، وأما الآيات التي يرون فيها مشقة عليهم . أو يرون أنه يصعب على نفوسهم قبول الحق الذي فيها فإنهم يرفضونها وينكرونها ، ويكتمون

(١) سورة طه : ٨٥ ـ ٩٨ .

الحق الذي فيها ، ولقد فضح القرآن الكريم هذا التحريف من بني إسرائيل فقال سبحانه :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ (١) ﴾ .

« وكتمانهم الحق أن يقولوا : لا نجد في التوراة صفة محمد ﷺ - أو حكم كذا أو يمحوا ذلك أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه(٢) » . فهذه صور ثلاث تندرج تحت كتمان الحق ذكرها الزمخشري في تفسيره ، واليهود قد قاموا بهذا كله .

فالتوراة قد اشتملت على صفات محمد - ﷺ - وعلى شمائله ، واختيار الله له رسولا إلى الناس أجمعين ، وكان بنو إسرائيل عارفين بهذا معرفتهم بأبنائهم ولكنهم كانوا يكتمون هذا الحق إذا سئلوا عنه وعن محمد ونبوته ، قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(٣) وقال عز وجل :

﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم

---

(١) البقرة : ٤٠ - ٤٢ .
(٢) الزمخشري ، الكشاف ، جـ ١ ص ٢٧٧ .
(٣) البقرة : ١٤٦ .

بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[1] .

ومع هذ المعرفة التي كانت لديهم ، ومع مجيء محمد بالخير لهم ، لما جاءهم مشركو العرب يسألونهم عن محمد وعن رسالته أنكر بنو إسرائيل نبوة محمد للناس كلهم وأنكروا أن يكون هو أو شيء من صفاته وشمائله موجودا أو مذكورا في التوراة التي معهم ، فإذا قيل لهم : ولكن محمدا والمسلمين يؤكدون وجود أوصافه وذكر نبوته في توراتكم قالوا ليس هو ونحن ننتظره .

٣ ــ إخفاء الحق :

سجل القرآن الكريم على بني إسرائيل أنهم كانوا يخفون كثيرا من الكتاب الذي أنزله الله على رسول موسى ـ عليه السلام ـ وهو التوراة فقال سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾[2] .

وقد لا يكون هناك فرق واضح بين الإخفاء والكتمان ، فكتمان الحق إخفاؤه ، وإخفاء الحق كتمانه ، ولكننا نرى القرآن الكريم قد

---

(١) الأعراف : ١٥٦/١٥٧ .

(٢) المائدة / ١٥ .

سجل عليهم هذين الأمرين : الكتمان والإخفاء ، فإذا نظرنا إلى ما كتمه بنو إسرائيل من الحق وإلى ما أخفوه وجدنا أنه يمكن التماس فرق رقيق بينهما ، فالملاحظ أن كتمان الحق شيء غالبا ما يكون مرتبطا بأمر عظيم أو بفضل كبير يعود على الغير فكانوا يكتمونه حقدا وكراهية لهذا الغير وذلك ككتمانهم أوصاف رسول الله محمد ـ ﷺ ـ ونبوته ، وإنكارهم نبوة عيسى ـ عليه السلام ـ أما الإخفاء فغالبا ما يكون إخفاء لشيء فيه خزي لهم أو أمر سيء قد وقع بهم فهم يخفونه لئلا يفتضح أمرهم بين الناس ، فالإخفاء إخفاء مخالفة والكتمان كتمان فضل ونعمة .

وهذا الإخفاء كان واقعا في بني إسرائيل ، فكثيرا ما كانوا يرتكبون الجرائم التي تغضب الله عليهم ، أو يقعون في سيئات يكون عقابها ماثلا دائما وأبدا أمامهم فيرونه في كل وقت وحين ، ويرون في هذا مضايقة لهم فيحاولون إخفاءه لئلا يكون عارا عليهم وفضيحة لهم .

وقد مثلوا لهذا الإخفاء ، بإخفاء بني إسرائيل حكم الرجم للزاني المحصن ، فقد كان هذا موجودا عندهم في التوراة ولكنهم أخفوه ، وذهبوا إلى رسول الله محمد ـ ﷺ ـ يسألونه عن حكم الله في هذه الجريمة ، فطلب منهم رسول الله أن يأتوه بالتوراة حيث الحكم فيها ولكنهم يخفونه لأن إيقاع الرجم بأحد عظمائهم فيه فضيحة لهم وعار عليهم ، كما قد يكون فيه ذهابا بسلطانهم وهيبتهم بسبب قتل بعضهم ، فلما جيء بالتوراة لرسول الله لقراءة الحكم فيها وضع أحدهم يده عليه إخفاء لحكم الله تعالى .

« روى مسلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ أتى بيهودي ويهودية قد زنيا ، فانطلق رسول الله ـ ﷺ ـ حتى جاء يهود فقال : ما تجدون في التوراة على

من زنى ، قالوا نسود وجوههما ونحممهما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ، ويطاف بهما ، قال(فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) قال فجاؤوا بها فقرؤوها حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها ، فقال عبدالله بن سلام وهو مع رسول الله ـ ﷺ ـ مره فليرفع يده فرفع فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ـ ﷺ ـ فرجما » . يقول ابن كثير :

« والصحيح أنها ـ أي قول الله : وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ـ نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والإركاب على حمارين مقلوبين[1] » .

٤ ـ لَيُّ اللسان :

اللَيّ : الفتل واللف ، فبنوا إسرائيل كانوا يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يفتلون ألسنتهم حين يقرؤون كلام الله تعالى لإمالته عن ما أنزله الله عليه إلى اللفظ المحرف الذي يريدون به تضليل الناس وإيقاعهم في الشر والباطل ، قال تعالى عن بني إسرائيل ، تسجيلا لهذا التحريف عليهم :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[2] .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ص ٥٨ ، والتحميم = تسويد الوجه .
(٢) آل عمران / ٧٨ .

يقول الزمخشري في الكشاف تفسيرا لهذه الآية :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا ﴾ هم كعب بن الأشرف ، ومالك بن الصيف ، وحيى بن أخطب وغيرهم ﴿ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ ﴾ يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف . ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ تأكيدا لقوله ﴿ هُوَ مِنَ الْكِتَٰبِ ﴾ وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرحون بأنه في التوراة . . . عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف غيرو التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم[1] .

وقد مثل الله تعالى للتحريف عن طريق اللسان بقول اليهود ﴿واسمع غير مسمع ﴾ فهذا القول له وجهان : وجه يحتمل الذم ، ومعناه اسمع ونحن ندعو عليك بعدم السماع ، ووجه ليس فيه هذا وإنما المقصود اسمع ولكننا لن نجيبك إلى ما تدعو إليه أي لا تسمع جوابا تكون راضيا عنه .

وهذه صورة ثانية دالة على التحريف بلي اللسان وهي قول اليهود **﴿ وراعنا ﴾ فهذه اللفظة تحتمل معنيين : (راعنا) بمعنى انتظرنا ، والمقصود راقبناوانتظرنا ، والمعنى الثاني من الرعونة ، ويقصدون بذلك شتم الرسول ـ ﷺ ـ وسبه والسخرية به .**

فلي اللسان مقصود به وضع (غير مسمع) موضع لا أسمعت

---

(١)) الزمخشري ، الكشاف جـ ١ ص ٤٣٩ .

شـرا ، (وراعنا) مكـان (أنظرنـا) وذلـك من بـاب فتـل اللسـان وليـه بالكلام قـدحا في الإسـلام واستهزاء بـرسول الله محمـد ـ ﷺ ـ ولكن الله فضحهم وبين باطلهم بتسجيل هذا التحريف عليهم في القرآن الكريم .

قـال ابن عطيـة : « وهـذا مـوجـود حتى الآن في اليهـود ، وقـد شاهدناهم يربون أولادهم الصغار عـلى ذلك ويحفـظونهم ما يخـاطبون بـه المسلمين مما ظاهره التوقير ويريدون به التحقير[1] » .

٥ ــ تحريف الكلام عن مواضعه :

وهذا النوع من التحريف قد يكون بوضـع كلمة مكـان كلمة ، أو جملة مكان جملة ، وهذا هو تحريف التبديل ، وقد يكون بـزيادة كلمـة أو جملة ، وهذا هو تحريف الزيادة ، وقد يكون بإسقـاط كلمة أو جملة من الكـلام المنزل على موسى عليه السلام ، وهذا هو تحريف بالنقص .

وقد تبقى الكلمة أو الجملة كـما هي ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين ثم يختـارون المعنى الذي يتفق مـع أهـوائهم وأغـراضهم ، وهـذا يسمى تحريف المعْنى أوتحريف التأويل .

وبـذلك يكـون عندنـا أربع صـور لتحـريف الكـلام عن مـوضعـه وهي :

١ ــ تحريف التبديل .

٢ ــ تحريف بالزيادة .

---

(١) أبو حيان (أثير الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان) البحر المحيط جـ ٣ ص ٣٦٤ .

٣ ــ تحريف بالنقص .

٤ ــ تحريف المعنى .

ولأنه لا يمكن استقصاء جميع الأمثلة الواردة على هذه الصور في هذا البحث القصير فإني سأقتصر في كل صورة على بعض الأمثلة التي تؤكد وجود التحريف اللفظي والمعنوي في توراة اليوم .

١ ــ تحريف التبديل :

وهو رفع كلمة أو جملة من التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ووضع أخرى مكانها بحيث تكون الكلمة أو الجملة الجديدة محققة لغرض في أنفسهم كمنفعة تعود عليهم أو مذمة ومنقصة ترفع عنهم .

وهذا النوع من التحريف يصعب على أي باحث تحقيقه وإبرازه بصورة كاملة وواضحة لأن هذا يقتضي وجود النسخة الأصلية للتوراة ـ توراة موسى ـ حتى يمكن مقارنة نصوص هذه التوراة بنصوص التوراة الأصل ووضع اليد على البديل الذي وضع مكان الأصل .

ومع هذا فإنه يمكن عن طريق التقصي والإستنتاج الوصول إلى بعض الصور والأمثلة التي توضح وتبين هذا النوع من التحريف ، أي تحريف التبديل .

فالآيات التي في توراة اليوم وتصف الله سبحانه وتعالى بالقسوة والجبروت ، أو بالندم والبكاء ، أو بالتحريض على السرقة

والكذب . . الخ لا شك أن هذه الآيات كلها مكذوبة لأن الله لا يتصف بالشر ، والسوء ، ولا يتصف ـ ولا يصف نفسه ـ بذميم الأفعال وسيء الأخلاق ، والصحيح الذي لا يختلف حوله أي مؤمن بحق ، أن الله وصف نفسه في التوراة التي نزلت على موسى بكل الصفات التي تليق بجلاله وكماله من الرحمة والمغفرة والكبرياء والعظمة ، ولكن بني إسرائيل في فترات كفرهم وارتدادهم كانوا يمتلئون حقدا على الله وعلى رسله ، ويزداد هذا الحقد في فترات التشرد فكانوا يبدلون صفات الألوهية بالصفات البشرية .

كذلك الآيات التي تحدثت عن خلق الأنبياء والرسل وسلوكهم وأعمالهم ، فما نجده في توراة اليوم من نسبة الكفر وعبادة الأصنام والزنا والقتل . . الخ إلى بعض رسل الله ، هذا لا شك في أنه من الكلام المكذوب على الله تعالى ، والآيات التي تتحدث بها آيات مجعولة موضوعة ، لأن الله لا يختار القدوة كافرا ، ولا يختار الداعية كاذبا أو زانيا ، فالذي تتفق عليه العقائد الصحيحة أن الرسل متصفون بحسن الأخلاق بريئون عن ذميم الصفات ، ولكن لأغراض خبيثة في نفوس بني إسرائيل استبدلوا هذه الصورةالطيبة عن الرسل والأنبياء ووضعوا مكان هذا تلك الصورة القبيحة التي صوروا بها رسل الله ، دعاة الحق والفضيلة ، المختارون لإقرار الوحدانية لا لتثبيت الكفر والشرك .

ولعل الدافع لبني إسرائيل في تسطير هذه الصور السيئة في توراتهم هو كراهيتهم لكل شيء سواء أكان بشرا ، أو رسولا ، أو إلها ، وذلك كرد فعل لما أصابهم من غربة وتشريد وحرمان وقتل على أيدي الغرباء والغزاة .

ولقد سجلت التوراة بعض الأحداث التي تناولها الباحثون والمفسرون بالبحث والدراسة فخرجوا منها بوجود بعض الأخطاء في هذه النصوص ، مما يؤكد وجود تحريف التبديل في هذه النصوص، وهاك بعض الأمثلة :

أ ـ جاء في سفر[1] الخروج أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت أربعمائة وثلاثين سنة ، ولكن الصحيح أنها كانت مائتان وخمس عشرة سنة ، كما اعترف بهذا مفسرو العهدين القديم والحديث ، وقد أقر هؤلاء المفسرون بأن ما جاء في سفر الخروج غلط ، وهذا الرقم غير صحيح[2] .

وهذا يجعلنا نستنتج أنه ربما يكون الكتبة قد وضعوا الرقم (٤٣٠) بدلا من الرقم (٢١٥) بسبب ميل بني إسرائيل لمصر وحنينهم إلى الحياة الأولى التي كانوا فيها في مصر ، فقد تضايقوا من الحياة في سيناء وتمنوا العودة مرة ثانية إلى مصر والموت فيها « ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شبعنا ، فلما أخرجتمانا إلى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع[3] » . « ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين مرحلة مرحلة على حسب أمر الرب ونزلوا رفيديم ولم يكن ثم ماء يشربه الشعب ، فخاصم الشعب موسى وقالوا أعطونا ماء نشربه . . . وعطش هناك الشعب إلى الماء

---

(١) الإصحاح ١٢ : ٤٠ .

(٢) انظر رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٤٠٩/ ٤١٠ .

(٣) سفر الخروج ، الأصحاح ١٦ : ٢/ ٣ .

وتذمروا على موسى وقالوا لم أصعدتنا من مصر لتقتلنا وبنينا ومواشينا بالعطش[1] » .

وقد يكون الدافع لهذا التبديل من الكتبة هو استعطاف الناس إلى جانب بني إسرائيل ، فلقد ذاقوا الغربة والحرمان والألم ، وآن لهم أن يستريحوا بعد عناء التشرد والتعذيب الذي لاقوه على يد فرعون وملئه .

ب ــ وجاء في سفر التكوين وعدا من الله لإبراهيم وذريته « وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم إلها »[2] هذه الآية دليل أكيد على دخول التحريف بالتبديل إلى توراة اليوم ، فجميع أرض كنعان لم تعط لإبراهيم ، ولم يأخذ نسله ملكا إلى الدهر لأنه كان دائما يعيش ما بين انقلابات واضطرابات ، وتشرد وغربة ، وكم من مرات قد زالت دولتهم وتضعضعت شوكتهم .

والذي يدل على أن هذه الآية وقعت تحت تحريف التبديل ، أن هذا السفر فيه آيات أخرى متضاربة ومتناقضة مع هذه الآية التي معنا ، من ذلك ما جاء في سفر التكوين[3] من أن الرب قال لإبراهيم حينما قدم إلى أرض كنعان لأول مرة « لنسلك أعطى هذه الأرض » وأرض كنعان في ذلك الوقت كان يقصد بها القسم المتوسط من فلسطين[4] ، وفي الأصحاح الثالث عشر (١٤/١٥) « انظر من الموضع الذي أنت فيه

---

(١) سفر الخروج : الأصحاح ١٧ : ١ ـ ٣ .

(٢) سفر التكوين ، الأصحاح ١٧ : ٨ .

(٣) سفر التكوين ، الأصحاح ١٢ : ٧ .

(٤) محمد عزة دروزة ، القرآن والمبشرون (ط ٢) ص ٢٢ .

شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد » ، وفي الأصحاح الخامس عشر (١٨) ، في ذلك اليوم بت الرب مع إبراهيم عهدا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

فأي وعد من هذه الوعود أعطى الرب لإبراهيم ، إننا لا نستطيع أن نخرج بنتيجة مفيدة أو جواب شاف وذلك بسبب التضارب البين في هذه الوعود التي جاءت في سفر واحد ، ولعل هذا التضارب يعود في الأصل إلى تحريف التبديل الذي كانوا يلجأون إليه تحقيقا لأغراض يهدفون إليها كبث روح الشجاعة والمجازفة في شعب بني إسرائيل ، أو لإثبات أحقيتهم في هذه الأرض التي جاءت حدودها في التوراة حيث يجب عليهم تملكها تملكا أبديا وطرد أصحاب الأرض الأصليين لأنهم هم الدخلاء على ميراث الآباء والأجداد .

وتبعا للأحلام التي كانت تراود بني إسرائيل والتي كانت تتسع وتنكمش حسب قوة بني إسرائيل وضعفهم ، تبعا لهذه الأحلام المتغيرة تغيرت واضطربت الآيات ما بين اتساع وانكماش في المساحة الأرضية وذلك لدخول تحريف التبديل إليها .

وأيا ما كان الأمر فإن مع أهل الكتاب اليوم ثلاث نسخ للتوراة ، وبالمقارنة بين نصوص هذه النسخ يتبين أن تحريف التبديل قد وقع في نسخ التوراة التي كتبت بعد موسى ـ عليه السلام ـ ، من ذلك مثلا :

١ ــ جاء في سفر التثنية[1] من التوراة العبرية قوله : « فإذا عبرتم الأردن

(١) الأصحاح ٢٧ : ٤ .

تنصبون هذه الحجارة التي أنا آمركم بها اليوم في جبل عيبال وتطلونها بالكلس » ولننظر هذه الآية في التوراة السامرية فماذا نرى ؟

« فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم » فاختلفت التوراتان في تحديد المكان الذي أمر الله موسى ببناء الهيكل عليه ، ولا شك أن في أحد التوراتين خطأ سببه التبديل اللفظي ، فكل توراة اختارت الجبل الذي تقدسه جماعتها ووضعت اسمه مكان الجبل الذي نزل الأمر الإلهي ببناء الهيكل عليه .

والسامريون يؤكدون صحة التوراة التي بأيديهم وتحريف التوراة العبرية ، وعليه فيكون تحريف التبديل قد وقع في النسخة العبرية لعناد السامريين وإثبات التحريف في توراتهم .

والعبريون يؤكدون صحة التوراة التي معهم وتحريف توراة السامريين ، وبناء على هذا يكون تحريف التبديل قد وقع في النسخة السامرية ، لعناد العبريين وإثبات تحريف توراتهم .

وقد يكون التحريف واقعا في كل من النسختين لأن الأمر يحتمل أن الله لم يأمر بهذا أبدا ـ وإلا لما جرؤت إحداهما على القول بتحريف الأخرى ـ أو أنه أمر ببناء الهيكل ولكن لس على هذا الجبل أو ذاك الجبل ، فمن يؤكد صحة هذا القول أو ذاك القول إذا كان كل واحد منهما يبطل نص الآخر ؟ وما دليل العصمة عن الخطأ في هذه التوراة أو تلك ؟

٢ ــ جاء في سفر التكوين[1] من النسخةالعبرية : « ونظر فإذا بئر في

(١) الأصحاح ٢٩ : ٢ ، ٨ .

الصحراء وثلاثة قطعان من الغنم رابضة عندها لأنهم من تلك البئر كانوا يسقون القطعان ، والحجر الذي على فم البئر كان عظيما » « قالوا لا نقدر حتى تجتمع القطعان كلها » .

أما النسخة السامرية واليونانية جاء لفظ « الرعاة » بدلا من لفظ « قطعان غنم » .

وإذن ففي أحدهما تحريف التبديل ، إما أن العبرية وضعت لفظ « قطعان غنم » بدلا من لفظ « رعاة » من أجل إظهار توراة السامريين بصورة الكتاب الخاطىء المحرف .

وإما أن السامرية هي التي وضعت لفظ « رعاة » بدلا من لفظ « قطعان غنم » وذلك لإظهار التوراة العبرية بمظهر الكتاب غير الصحيح لدخول تحريف التبديل فيه .

وأيا ما كان الصحيح منهما فهذا لا يعنينا بشيء قدر ما يعنينا إبراز هذه الصور الناطقة والشاهدة بدخول تحريف التبديل إلى التوراة التي كتبت بعد موسى عليه السلام .

٢ ــ التحريف بالزيادة :

عرفنا سابقا أنه في فترة من الفترات تعددت نسخ التوراة فكان منها العبرية ، والسامرية ، واليونانية . . الخ وكان لكل نسخة من هذه النسخ طابعها الخاص ولذلك كان لها أتباع مخصوصون .

فأما أتباع النسخة اليونانية فكانوا يرونها هي الصحيحة ، والتوراة العبرية محرفة لأن اليهود حرفوها عام ١٣٠ م لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة .

وأتباع النسخة العبرية قالوا هذه هي التوراة الصحيحة ، أما اليونانية فهذه توراة باطلة لأنها محرفة .

وأجمع علماء الكنيسة الرومانية على صحة الترجمة اللاتينية ، أما علماء البروتستنت فقالوا بل هي محرفة ، ولم تحرف ترجمة بمثلها ، فقال هورن في المجلد الرابع من تفسيره (المطبوع سنة ١٨٢٢م) ص ٤٦٣ :

« وقع التحريفات والإلحاقات الكثيرة في الترجمة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر » وفي ص ٤٦٧ يقول : « لابد أن يكون ذلك الأمر في بالك أن ترجمة من التراجم لم تحرف مثل اللاتينية »[1] وهذه بعض الأمثلة والصور الدالة على وقوع التحريف بالزيادة في التوراة التي بأيدي الناس اليوم :

أ ــ جاء في سفر التكوين[2] : « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل » فظاهر النص يدل على أن كاتبه كان يتحدث بهذا الكلام بعد أن كان لبني إسرائيل ملكا ودولة يقوم عليها ملوك ، وهذا لم يكن إلا بعد عصر القضاة ، وكان أول ملك لبني اسرائيل هو شاول الذي كان بعد موسى عليه السلام بثلاثمائة وست وخمسين سنة ، لذلك فالعقل يستبعد أن يكون هذا النص من كتابة موسى الذي مات في فترة التيه قبل أن يدخل بنو إسرائيل أرض كنعان بقيادة يوشع النبي ، قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره تعليقا على هذا النص : « غالب

---

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٣٦٧/٣٦٨ .

(٢) الاصحاح ٣٦ : ٣١

ظني أن موسى ـ عليه السلام ـ ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين ، بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام ، وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن أنها جزء من المتن فأدخلها فيه » ، يقول رحمة الله الهندي تعليقا على كلام آدم كلارك :

« فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسع ، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف لأن هذه الآيات التسع مع عموم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ[1] » .

وهذا الذي يقوله رحمة الله الهندي حق وصدق لأن من يخترق حاجز الاحترام الديني للكتاب السماوي ويخرج عن نطاق القدسية في هذا الكتاب فإن نفسه تسول له أن يفعل أي مخالفة دينية وأي تحريف إذا ما رأى في ذلك منفعة تعود عليه أو مضرة تذب عنه ، وهكذا كان اليهود دوما .

ب ـ جاء سفر التكوين[2] : « فأخذ يائير بن منسى جميع بقعة أرجوب إلى تخوم الجشوريين والمعكيين ، وسمى باشان باسمه ضياع يائير يابر إلى هذا اليوم » و « إلى هذا اليوم » وكون الحديث عن يائير ، كل هذه القرائن تدعو إلى القول بأن هذا النص ليس من كلام

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٦٩/ ٣٧٠ .
(٢) الاصحاح : ٣ : ١٤ .

موسى ـ عليه السلام ـ إذ أن الذي كتب هذا لابد أن يكون بعد يائير بزمن طويل ، وقد علق على هذا النص وسابقه المحقق هورن بقوله : « هاتان الفقرتان لا يمكن أن تكونا من كلام موسى ـ عليه السلام ـ لأن الفقرة الأولى دالة على أن مصنف هذا الكتاب كان بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل ، والفقرة الثانية دالة على أن مصنفه كان بعد زمان إقامة اليهود في فلسطين »[1] .

وحيث اعترف علماء أهل الكتاب بمثل هذا التحريف وبزيادة هاتين الفقرتين فماذا يمنع أن يكون في التوراة من ذلك الكثير ؟

جـ ـ جاء في سفر الخروج[2] : « وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة إلى أن ذهبوا إلى أرض عامرة أكلوا المن إلى حين وافوا حدود أرض كنعان » .

ولعل القاريء يلحظ معي بدون عناء فكر أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يصدر عنه مثل هذا القول وإنما كتبه أحدهم بعد انتهاء فترة التيه فجملة » أكلوا المن أربعين سنة » تدل على أن النص كتب بعد انتهاء الأربعين سنة ودخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان ، وموسى مات بالتيه ولم يدخل أرض كنعان .

قال آدم كلارك في تفسيره في الصفحة ٢٩٩ :

« ظن الناس من هذه الآية أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المن عن بنى اسرائيل »[3] وآدم كلارك استعمل لفظ « ظن » دون الجزم تمهيدا

(١) نقلا عن اظهار الحق جـ ١ ص ٣٧١ .

(٢) الاصحاح : ١٦ : ٣٥ .

(٣) نقلا عن اظهار الحق جـ ١ ص ٣٧٥ .

منه للتأويل البعيد ، ولكن النص صريح في أن كاتبه ليس هو موسى - عليه السلام - لإن من يتحدث عن جماعة وصلوا تخوم أرض كنعان لابد وأن يكون بعد هذا الحدث حتى يستطيع أن يكتب عنه بعد وقوعه وبخاصة أنه استعمل الفعل الماضي « أكلوا » ، وهذا يعني الأكل مدة الأربعين سنة والانتهاء منها - أي من الأربعين سنة - ، والفعل « ذهبوا » « ووافوا » كل هذا يعني أنهم وصلوا بالفعل إلى الأرض العامرة ، وموسى لم يشاهد هذه الأرض العامرة لأنه مات في التيه - صحراء سيناء - وإذن لا يعقل أن يكون موسى هو كاتب هذا النص لأنه يلزم عليه أن يكون موسى قد دخل بالفعل إلى أرض كنعان ، وليس هناك مسلم أو يهودي أو نصراني يقول بهذا الهراء .

د ـ وفي معجم الكتاب المقدس اعتراف مفصل ببعض النصوص التي ألحقت بأسفار التوراة فيقول كاتبه :

« بعض الجمل التي توجد في كتاب موسى - عليه السلام - تدل صراحة على أنها ليست من كلامه ، مثل الآية « ٤٠ » من الباب « ٢٢ » من سفر العدد ، والآية « ١٤ » من الباب «٢» من سفر الاستثناء ، وكذلك بعض عبارات هذا الكتاب ليس على محاورة كلام موسى »[1] .

هده بعض الصور التي ذكرتها للدلالة على وقوع التحريف بالزيادة في نسخ التوراة المختلفة ، فالحرب التي كانت دائرة بين كهنة التوراة العبرية وكهنة التوراة السامرية أباحت لكل من الطرفين أن يزيد في

---

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٣٧١ .

توراته وينقص منها بما يحقق أهدافه من الطعن في توراة الآخر وإظهارها أمام الناس بصورة الكتاب الباطل بسبب ما فيه من تحريف .

كذلك كانت هناك معركة أخرى بين كهنة التوراة العبرية وكهنة التوراة اليونانية ، وهؤلاء وأولئك سولت لهم أنفسهم تحريف التوراة وتزييفها حتى يملأوا قلوب أتباعهم حقدا وكراهية للتوراة الأخرى وبالتالي إبطالها ورفضها والنيل منها حين تكون الفرصة سانحة لذلك .

ونحن المسلمين بدورنا لا نجد بوسعنا إلا التأمين والتصديق على اعترافات كل فريق منهم على الآخر ، والأخذ بعين الاعتبار أنهم أهل التوراة وعلماؤها وهم الأدرى بها وبما حدث لها على مر التاريخ ، فإذا أقروا ببطلان هذه النسخة أو تلك فليس أمامنا إلا التسليم بذلك والحذر مما في هذه التوراة ، وأن نعمل بما وجهنا إليه رسول الله ـ ﷺ ـ فلا نصدق ولا نكذب وإنما نقول آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، قاصدين بهذا الايمان بالتوراة التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ لأن ما بأيديهم قد يكون فيه مما نزل على موسى لكن فيه الكثير مما كتبه الكهنة مما لم يكن نازلا على موسى .

٣ ـ التحريف بالنقص :

الأسباب والدوافع التي جعلت بني اسرائيل يضيفون كلمات أو نصوص إلى توراة موسى ، هي هي نفس الأسباب التي جعلتهم يسقطون بعض الآيات أو الجمل أو النصوص من كلام الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام .

ونحن إذ نقول أن التوراة فيها نقص بإسقاط بعض كلماتها ونصوصها فذلك باعتراف أهلها وعلمائها ، ومن مقارنة النسخة العبرية بغيرها من النسخ الأخرى ، قال هورن تعليقا على الترجمة اليونانية للتوراة :

« وهذه الترجمة كانت تقرأ في الكنيسة اليونانية واللاتينية إلى ألف وخمسمائة ، وكان السند يؤخذ منها ، وكانت هذه معتبرة في معابد اليهود في أول القرن ، ثم لما استدل المسيحيون عليهم من هذه الترجمة أطالوا ألسنتهم على هذه بأنها ليست موافقة للمتن العبري ، وجعلوا في ابتداء القرن الثاني يسقطون الفقرات الكثيرة منها ثم تركوها واختاروا ترجمة أيكوئلا ، ولما كانت مستعملة في اليهود إلى أول القرن المسيحي ، وفي المسيحيين إلى مدة فكثرت نقولها ووقعت فيها الأغلاط بسبب تحريف صدر عن اليهود قصدا ، وكذلك بسبب غلط الكاتبين ودخول عبارة الشرح والحاشية في المتن[1] » .

فهذا العالم المحقق والمفسر لكتب العهدين القديم والجديد يحدد الأسباب التي من أجلها قام أهل التوراة بتحريفها وتزييفها وإسقاط بعض جملها ، وهذه بعض الصور الدالة على وقوع التحريف بالنقص في التوراة :

أ ــ حول قضية قتل قابيل لهابيل ورد في التوراة نصان أحدهما في النسخة العبرية يقول : « وقال قابيل لهابيل أخيه ولما صارا في الحقل قام قابيل على هابيل فقتله[2] » وبمجرد قراءة هذا النص يلحظ القاريء أن مقول

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٤٥٥/٤٥٦ .
(٢) سفر التكوين ، الاصحاح ٤ : ٨ .

القـول ساقط من النص ، فمـاذا قال قـابيل لهـابيل أخيـه ؟ تأتي التـوراة السامرية واليونانية والتراجم القديمة فتذكر ما قاله قـابيل لأخيـه هابيـل ، وهذا في النص الذي يقول :

« وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل ولما صـارا في الحقل قام قابيل على هابيل أخيـه فقتله » ، وبالمقـارنة بـين النص العبري والنص الثـاني نرى أن جملة « تعـال نخرج إلى الحقـل » ساقـطة من النسخـة العبريـة ، واستقامـة التعبير تقتضي وجـود هذه الجملة في النص ، كـما أن أكثريـة النسخ قـد ذكرت هـذه الجملة ، وبـذلـك فالتحريف بالنقص واقع في النسخة العبرية التي يدعى أكـثر اليهود صحتها وصدق نقلها ومتانة سندها .

قـال هورن في المجلد الثاني من تفسيـره ، صفحة ٣٣٨ « قـد تكون عبارة الترجمة اليونانية صحيحة لم توجـد في نسخ العبـرانية المـروجة الآن ، مثـلا نسخ العبـرانية مكتـوبة أو مـطبوعـة نـاقصـة في الآيـة المذكورة نقصانا بينا »[1]

ب ــ جـاء في سفر العـدد من النسخة العبـرية[2] : « واذا هتفـوا ونفخوا مرة ثانية بالقرن يهللون كأول مرة يرفع الخيام الحالة نحو الجنوب » ولكن هنا نقص أكملته النسخ الأخرى ، فقـد جاء بعـد هذه الآيـة في التـرجمة اليـونانيـة « وإذا نفخوا مـرة ثالثـة يرفـع الخيام الغـربية للارتحال ، وإذا نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال » .

---

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٤١٤/٤١٥ .

(٢) الاصحاح ١٠ : ٦

والقسمة العقلية ترجح ما جاء في الترجمة اليونانية ، فحيث ذكر الخيام الجنوبية لزم ذكر بقية الخيام القائمة في بقية الجهات الأربع ، وهذا ما رجحه آدم كلارك حيث قال في المجلد الأول من تفسيره (ص ٦٦٣) :

« ولم يذكر الغربية والشمالية لكنه يعلم أنهم كانوا يرتحلون بالنفخ أيضا ، ولذلك يعلم أن المتن العبراني ههنا ناقص »[١] .

جـ ـ جاء في سفر الخروج[٢] : « فولدت له هارون وموسى » وبالمقابلة مع نصوص النسخة السامرية والترجمة اليونانية يظهر لنا النقص والإسقاط من التوراة العبرانية ، فقد جاء في التوراة السامرية « فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما » ، فسقط من النسخة العبرية « ومريم أختهما »[٣] .

وقد يقول قائل لعل النسخة العبرية اقتصرت على هارون وموسى باعتبارهما رسولين ، أو باعتبارهما رجلين ، أو باعتبار أهميتهما لبني إسرائيل ، ولكن هذا لا يجوز أن يقال أمام نص يدعى أنه نزل على موسى ـ عليه السلام ـ فإذا كان ما نزل على موسى « فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما » فيجب الالتزام بهذا الوحي الإلهي ، ولكن هو التلاعب والتحريف الذي زيف به اليهود كتاب الله تعالى .

---

(١) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٤١٨ .

(٢) الاصحاح ٦ : ٢٠

(٣) رحمة الله الهندي ، اظهار الحق جـ ١ ص ٤١٧ .

٤ ــ تحريف التأويل أو تحريف المعنى :

عرفنا أنه قائم على حمل اللفظ على غير محمله ، وذلك بصرف اللفظ عن معناه الظاهري إلى معنى بعيد لا يحتمله اللفظ دون وجود قرينة تستدعي هذا .

وقد ثبت أن بني إسرائيل فعلوا هذا حينما أخضعوا التوراة لأهوائهم وأهواء أحبارهم ، ففضلوا ما فرضه الكهنة والأحبار عليهم على ما طلبه الله منهم ، فمن ذلك :

أ ــ جاء في التوراة « ولحما في الصحراء فريسة لا تأكلوه وللكلب ألقوه » ومعنى النص ظاهر وهو أن الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو أي وحش كاسر ، هذه تكون محرمة عليهم ، ولذلك يجب إطعامها الكلاب .

والفريسة في هذا النص ـ أي التي افترسها وحش ـ تسمى في التوراة طريفا ، والتوراة قد حرمت عليهم الطريف أي الفريسة التي أطاح بها وحش مفترس .

ولكن اليهود حرفوا معنى الطريف إلى معنى آخر شددوا به على أنفسهم ، فكانوا إذا ذبحوا ذبيحة نفخوا الرئة حتى تمتلىء بالهواء ، فإن خرج الهواء من ثقب منها ، أو كان بعض أطراف الرئة لاصقا حرموه على أنفسهم ولم يأكلوه .

وكان أحدهم يدخل يده في بطن الذبيحة فإن وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ، حرموه عليهم ولم يأكلوه وسموه طريفا ، ويقصدون بهذا أنه تنجس وأكله حرام .

وبذلك فتحريف التأويل في هذا أن الطريف في أصل استعماله أن يقصد به « الحيوان الذي افترسه الوحش » فغيروا وتأولوا المعنى وقالوا « الطريف هو الذبيحة التي يكون قلبها ملتصقا بالظهر أو بأحد الجانبين » فصرفوا اللفظ عن حقيقته قاصدين بذلك التشدد مع بني إسرائيل وليكون هذا وسيلة لمنعهم من مخالطة الأجانب عن طريق أكل ذبائحهم إذ بهذه الطريقة في أكل الذبائح يكون لبني إسرائيل طريق آخر مختلف عن الأمم الأخرى وبذلك يتميز بنو إسرائيل عن غيرهم من الأمم .

أما الذبيحة التي يخرج الهواء من ثقب منها فهذه أيضا تسمى « طريفا » أي أنه حرام .

وتبعا لهذا التشدد في أكل الذبائح ، عمدوا إلى نص التوراة « ولحما فريسة في الصحراء لا تأكلوه ، وللكلب ألقوه » ففسروا الفريسة بالذبيحة التي لا تتوفر فيها الشروط السابقة ـ أي عدم خروج الهواء . وعدم التصاق القلب ـ ، وفسروا « وللكلب ألقوه » أي لمن ليس من أهل ملتكم فبيعوه[1] .

وهكذا تأولوا النص ووضعوا له معنى يبعد به بعدا شاسعا عن الحق والعقل والواقع من أجل وضع سياج يحيط ببني إسرائيل ويحميهم من الاختلاط بغيرهم حتى ولو كان في هذا تحريف لكتاب الله « التوراة » .

ب ـ جاء في التوراة « نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به فليؤمنوا » فتألوا هذا النص ، وحرفوا تأويله فقالوا هذه بشارة بنبي من بني

---

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، جـ ٢ ص ٣٢٥/٣٢٦

إسرائيل ، وبذلك جعلوا كلمة « إخوتهم » بمعنى « منهم » أي من بني إسرائيل .

أو أن هذا بشارة بنبي يبعث آخر الزمان ولكن حتى الآن لم يظهر هذا النبي ، وقد يكون المراد من النص الاستفهام الإنكاري ، يقول ابن القيم :

« أما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق :

أحدها : أنه على حذف أداة الاستفهام والتقدير : أأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم ؟ أي لا أفعل هذا ، فهو استفهام انكاري حذفت منه أداة الاستفهام .

الثاني : أنه خبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبي ، فإنه من بني إسرائيل ، والبشارة إنما وقعت بنبي من إخوتهم وإخوة القوم هم بنو أبيهم وهو بنو إسرائيل .

الثالث : أنه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن »[1] .

ولكن هذا التأويل بعيد عن الحقيقة وتحريف مفتعل من أجل أن يجعلوا النبوة فيهم فقط دون بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، ولو كان الله يريد أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل لقال « من أنفسهم » لأن كلمة الاخوة تستعمل في التوراة على الجماعة التي من غير بني إسرائيل كما جاء في السفر الخامس» أنتم عابرون في تخوم إخوتكم بني

---

(١) ابن القيم ، هداية الحيارى ص ٧٨ .

العيص المقيمين في سيعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم » فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا إسحاق ، والروم هم بنو العيص ، واليهود هم بنو إسرائيل وهم اخوتهم ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم[1] .

جـ ـ جاء في التوراة : « جاء الله تعالى من طور سيناء وأشرق نوره من سيعير ، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين » .

عمد الأحبار إلى كلمة « فاران » التي هي جبال مكة وحملوها على جبال الشام وذلك صرفا لمجيء نبي من هذه الأرض .

والتوراة نفسها فيها الرد على هذا التحريف فقد جاء فيها :

أن « اسماعيل أقام في برية فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر » ومعلوم أن اسماعيل كان مقيما بأرض مكة وكان يعيش على جبالها ، ففاران هي جبال مكة وليست جبال الشام .

فلسفة التحريف

لقد استعرضنا أنواع التحريف التي أدخلها بنو إسرائيل إلى التوراة ، كما ذكرنا بعض الأمثلة والصور الدالة على كل نوع منها ، إما من القرآن كما في إلباس الحق بالباطل ، وكتمان الحق وإخفائه ، ولي اللسان بالكلام ، وإما من التوراة كما في تحريف الكلام عن موضعه سواء أكان هذا عن طريق التحريف اللفظي ـ تبديلا أو زيادة أو نقصا ـ أو تحريف التأويل .

---

(١) ابن القيم ، اغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٢٥٤ .

وقد تبين لنا أثناء هذه الصور أن بني إسرائيل قد قاموا بهذه التحريفات في كتاب الله تعالى إما خطأ وإما قصدا ، فأما الخطأ فقد كانت بعض النسخ مذيلة بشروح أو حواشي وتعليقات فيراها الناسخ فيعتقد أنها من المتن ويدخلها ضمن النص على أنها من كلمات التوراة ووحي الله المنزل على موسى عليه السلام .

وأما إيقاع هذه التحريفات وإدخالها في التوراة قصدا فذلك كان عنادا أو تشددا أو طمسا للحق وغمط أهله ، فبنو إسرائيل حرفوا توراتهم عنادا للسامريين : فالسامريون يرون أن المدينة المقدسة هي شكيم ، والجبل الذي كلم الله موسى عليه هو جبل غريم (جرزيم) وهو الذي أمر الله ببناء الهيكل عليه ، فهم يقدسون هذا الجبل وتلك المدينة ، والسامرة تتوجه في صلاتها إلى جبل غريم هذا ، فهو قبلة الصلاة عندهم .

والعبريون على خلاف هذا ، فبيت المقدس عندهم هو المدينة المقدسة ، وجبل عيبال هو الجبل الذي أمر الله ببناء الهيكل عليه ، وبذلك فقبلتهم خلاف قبلة السامريين ، واستتبع هذا الخلاف العقائدي إخضاع التوراة لمباديء كل فرقة ، فالعبريون غيروا في توراتهم عنادا للسامريين حتى يظهر أمام هذا أو ذاك أن توراة السامريين غير صحيحة وبالتالي فعقيدتهم باطلة .

وبالعكس كان السامريون ، فهم أيضا لعبوا في توراتهم لإظهار التوراة العبرية بمظهر الكتاب الباطل ، وبناء عليه فعقيدة العبريين باطلة وكل من يؤمن بها ويصدق بمبادئها فهو الآخر عقيدته باطلة .

وكذلك كان هناك العناد بين اليهود عامة وبني إسرائيل الذين اعتنقوا النصرانية ، فالنصرانيون يرون أن اليهود ملزمون عقائديا بالإيمان بعيسى ـ عليه السلام ـ وبرسالته ، ويستدلون على هذا ببعض النصوص التي جاءت في التوراة ، ولكن غالبية اليهود لا يرون أن عيسى رسول وما هو إلا دعى يدعي الرسالة ، وقد ولد بطريق غير شرعي .

واستتبع هذا الخلاف أن عمد اليهود إلى توراتهم فأسقطوا منها مافيه دلالة على نبوة عيسى ـ عليه السلام ـ ومجيئه برسالة جديدة ، أو تأولوا هذه الآيات تأولا بعيدا حتى لا يتخذ النصارى من هذه التوراة حجة عليهم وإلزامهم برسالة عيسى عليه السلام .

ومن هذا النوع من العناد الذي ترتب عليه تحريف التوراة ، العناد للمسلمين ، فلقد اشتملت توراة موسى على كثير من الآيات الدالة على شخصية محمد ـ ﷺ ـ وصفاته واختياره من قبل الله رسولا للناس أجمعين ، ولكنهم أيضا حرفوا توراتهم عنادا للمسلمين ، وها هو القرآن الكريم وجميع من آمن من اليهود ـ كعبد الله بن سلام وغيره ـ قد أخبروا بهذا وأعلنوه للناس ، وكما هو عادة بني إسرائيل في الكذب والإنكار قالوا ليس شيء من هذا عندنا في التوراة ، أو أن هذا عن نبي سيأتي بعد ذلك . . إلخ .

كذلك كان من أسباب تحريف التوراة من اليهود هو إظهار النسخة اليونانية من التوراة بأنها غير معتبرة لأنها محرفة وباطلة .

وهناك دافع آخر للتحريف وهو خوف الأحبار والكهنة من ذوبان اليهود داخل المجتمعات التي كانوا يعيشون بينها ، وبذلك تضعف قوتهم ويتشتت شملهم ولا تقوم لهم قائمة ، وعلاجا لهذا الموقف عمد بنو

إسرائيل إلى التشدد في أحكام شريعتهم ـ كما عرفنا في أحكام الذبائح ـ ، ولكي يكون هذا التشدد في الأحكام والآداب له صفة القدسية الدينية حرف اليهود التوراة فأدخلوا وأضافوا هذه الأحكام الجديدة ضمن أحكام التوراة الشرعية أو تأولوا الأحكام الموجودة في التوراة تأويلا يدخل فيه ما أرادوا فرضه من أحكام جديدة .

هذه هي أسباب التحريف التي أخذناها من أفواه أهل الكتاب أنفسهم ، بالإضافة إلى بعض الأسباب التي قال بها علماء المسلمين .

وبنو إسرائيل أنفسهم معترفون بالزيادة والنقص في التوراة ويقرون بوقوع التبديل والتأويل فيها ولكنهم حينما يواجهون بهذه التحريفات والتناقضات التي إمتلأت بها التوراة نراهم يقللون من شأن هذه الأمور ويوجهونها توجيهات تقلب الباطل حقا ، والحق باطلا ، والضلال صلاحا ، والصلاح ضلالا .

يقول موريس بوكاي :

« يثير الدهشة حقا تنوع ردود الفعل لدى المعلقين المسيحيين إزاء هذا الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة ، بعضهم يقبل بعض الأخطاء ولا يتردد في مواجهة المسائل الشائكة فيما يكتب ، والبعض الآخر يصرف النظر برشاقة عن دعاوي غير مقبولة ويتقيد بالدفاع كلمة فكلمة عن النص . ويحاول الإقناع عن طريق تصريحات مديحية مستعينا في ذلك بحجج كثيرة غير متوقعة في غالب الأحيان يأمل بذلك أن يضفي غلالة من النسيان على ما يرفضه المنطق » .[1]

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٥٥ .

وما يقوله هذا الكاتب الفرنسي حق وصدق ، لأن المدافعين عن هذه التناقضات يوجهونها توجيهات بعيدة جدا عن العقل والمنطق .

فعند هذا الفريق من الناس أن ما يراه البعض تحريفا قد يكون ترجمة للفظ عبري لا غير ، فلما رأى القاريء هذا اللفظ ظن أنه تحريف ، وما هو بتحريف ، ومن هذا النوع ما جاء في كتاب يوشع « وينحدر ويدور من قبال البحر » فقوله من قبال البحر يظهر لأول وهلة أنه غلط لأنهم ما كانوا على ساحل البحر ولا قريبا منه ، ولكن هذا ليس بغلط ولا تحريف لأن » اللفظ العبري الذي ترجموه بالبحر معناه : « المغرب » .

وقد رد الكاتب المسلم رحمة الله الهندي على هذا التوجيه البعيد عن الحق المنافر للغة ، بأنه لا يوجد في ترجمة من الترجمات بأن البحر ترجمة لكلمة المغرب ، والصحيح أن هذا اللفظ موضوع من الكتبة بقصد الإصلاح »[1] .

والذين يصفون التوراة بالتحريف لم يفهموا حقيقة تصنيف وكتابة الكتب المقدسة فلا يلزم ـ في هذا النوع من التصنيف ـ على القول بأن هذا كتاب ديني أوحى من قبل الله أن يكون كل حرف وكل كلمة بإلهام من الله ، أو أن كتبة الكتب الدينية يكونون ملهمين في كل وقت ، هذا هو ما يراه أهل التوراة ، فالمعتقد عندهم أنه « إذا قيل أن الكتب المقدسة أوحيت من جانب الله فلا يراد أن كل لفظ ، والعبارة كلها من إلهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورة المصنفين واختلاف بيانهم أنهم

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٢٠٢

كانوا مجازين أن يكتبوا على حسب طبائعم وعاداتهم وفهومهم ، واستعمل علم الإلهام على طريق استعمال العلوم الرسمية ، ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر ببينونة أو في كل حكم كانوا يحكمونه »[1] .

وهذا الكلام من أحد مفسريهم أعتبره شهادة قيمة بأن الكتب المقدسة ـ التوراة والإنجيل في أيامنا هذه ـ ليست كلها إلهامية ـ وليس كل مافيها بإلهام من الله تعالى ، وهذا الاعتراف يفيدنا في ناحيتين :

الأولى : أن هذه الكتب لا يصح أن نقول بأنها وحي إلهي طالما أن الإلهام منتف عنها أو عن بعض أجزائها ، لأن الكتب الإلهية لا يكون بعضها إلهاما وبعضها على حسب العادة والطبائع والأفهام .

الثانية : وحيث أن هذه الكتب ليست إلهامية ومنها ماهو خاضع للطبع والعادة كان احتمال تحريفها أمرا جائزا ، بل العقل إلى قبوله أكثر من رفضه لأن طبائع الناس وعاداتهم مختلفة ومتضاربة في كثير من الأحيان ، وهذا في حد ذاته دافع قوي للتحريف والتبديل والتغيير .

ثم ما الدليل على إجازة المصنفين أن يكتبوا على حسب طباعهم وعاداتهم في ثنايا الوحي الإلهي والكتب الدينية ؟ ومن الذي أجازهم وصرح لهم بهذا العمل ؟ وهل يجيز الله لبني إسرائيل أن يكتبوا عنه بأنه يندم ويبكي ؟ وأن لوطا زنى بابنتيه ؟ وموسى قتل أخاه هارون ؟ وسليمان عبد الأصنام ؟

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٧ ، والنص ملخص من تفسير هورن ، المجلد الأول ، الضميمة الأولى .

ومن أجل توجيه هذه التناقضات نراهم مرة ثالثة يتعللون بأن الزيادة في النص لا فائدة منها ولا قيمة لها ، ولا تؤثر في الكتاب بأي خلل ، فلقد جاء في سفر التكوين « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك لبني إسرائيل » هذا النص من سفر التكوين ثبت أنه من زيادات النساخ وأنه ليس وحيا من الله .

كذلك جاء في سفر التثنية « فباير ابن منسا ورث كل أرض أرغوب إلى تخوم جاسور ومعكاتي وسمي باسان باسمه جالوث باير التي هي قرى باير إلى هذا اليوم » هذا النص ثبت أيضا أنه أضيف إلى التوراة وليس من الوحي الإلهي .

فلما علق عليهما هورن في تفسيره قال « لكن لو فرضناهما - أي الفقرتين السابقتين - إلحاقيتين لا يتطرق الخلل في حقيقة الكتاب ، ومن نظر بالنظر الدقيق علم أن هاتين الفقرتين ليستا بلا فائدة بل هما ثقلان على متن الكتاب »[1] ، ونحن نقول :

بصرف النظر عن كونهما مفيدتين أو غير مفيدتين فالمهم أنهما إلحاقيتان دستا في ثنايا كتاب الله ، وهذا لاشك تحريف ، وماذا يكون التحريف إن لم يكن إضافة كلام البشر إلى كلام الله تحريفا وتزييفا ؟ بل إن الإعتراف بكون الفقرتين إلحاقيتين أدعى لأن يقال إن التوراة محرفة ، فحيث لا يتبين القاريء ما كان إلحاقيا مما كان أصلا دل هذا على أن ما نسميه وحيا أصليا وما نسميه كلاما إلحاقيا كلاهما من صنع البشر لأنه لا يعقل أن يرقى كلام البشر إلى درجة الوحي الإلهي ، ولكن الذي يعقل

---

(١) رحمة الله الهندي ، إظهار الحق جـ ١ ص ٣٧١ .

أن ما يقال أنه وحي إلهي هو أيضا من صنع البشر ، والفرق بين ما عرفنا أنه إلحاقي ومالم نعرفه أن هذا له كاتب وذاك له كاتب ، وأحدهما أسبق من الآخر في الزمن .

أيضا ـ وبهذا الإعتراف ـ تكون التوراة قد ضمت الغث وما لا فائدة منه ، ولو أن هذا الوصف قيل عن كتاب في الأدب أو في اللغة أو في التاريخ لكان هذا عيبا كبيرا وسببا قويا لازدراء هذا الكتاب والحط من قيمته ومن شخصية كاتبه ، وبالتالي الإعراض عما تضمنه هذا الكتاب من أفكار وحقائق ، فما بالنا إذا كان هذا في كتاب يفترض فيه أنه وحي إلهي نزل من رب العالمين على رسول صادق أمين ؟

وقد يعترفون بالتحريف ولكنهم يوجهون هذا بأنه وإن كان زيادة في النص إلا أنه جيء به لأجل الربط ، كما أن كاتبه ملهم من الله ، وحينئذ فلا يصير هذا تحريفا لأن ما كان لخدمة النص وكتب بالإلهام لايكون تحريفا ، ومن هذا النوع ما جاء في سفر التكوين « والكنعانيون حينئذ في البلد »[1] ، « والكنعانيون والغرزيون مقيمون في البلد »[2] .

هنري واسكات في تفسيره قال تعليقا على هذين النصين :

« هذه الجملة : والكنعانيون حينئذ في البلد ، وكذا الجمل الأخر في مواضع شتى ملحقة لأجل الربط ألحقها عزرا أو شخص إلهامي آخر في وقت جمع الكتب المقدسة »[3]

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح ١٢ : ٦ .
(٢) سفر التكوين ، الإصحاح ١٣ : ٧ .
(٣) رحمة الله ، إظهار الحق جـ ١ ص ٣٧٨ .

والصحيح الذي نراه ونعتقده أن هذا تحريف متعمد ، بل إن اعتراف هذا المفسر بالزيادة من أجل الربط بين النصوص دليل واضح وقوي على التحريف لأن الوحي الإلهي لايكون إلا كاملا ، وكلام الله لا يحتاج إلى الربط والوصل لأنه كل متكامل .

أما أن الكاتب الذي كتب هذه الزيادة شخص مُلْهم فهذا فرض احتمالي فقط ولم يرق إلى درجة اليقين ، وليس عليه دليل .

على أنه ثبت وباعتراف المفسرين للتوراة ولكتب العهد القديم أن عزرا أخطأ في كتاب أخبار الأيام ، فكيف يكون ملهما ويخطيء ؟

وحتى لو افترضنا أنه ملهم فهذا لا يجيز له أن يزيد في كتاب الله شيئا ، ولو كان هذا جائزا لكان الرسول الذي نزل عليه هذا الوحي هو الأولى بالتعديل والربط والوصل ، ولكن لم يثبت أن نبيا نزل عليه وحي إلهي قام بتعديل ووصل في كتاب الله تعالى .

« والأب ديفو » يبرر ما يراه من متناقضات في التوراة بأنه أمر غير مهم ، فإذا كانت التوراة قد تحدثت عن « ذكريات سيل واحد مخرب ـ أو أكثر من واحد ـ وقع بوادي دجلة والفرات ، وأنه إذا كان التراث قد ضخم أبعاد كارثة عالمية » فإن ذلك لا يهم ، « إنما جوهر المسألة هو أن الكاتب الديني قد حمل هذه الذكرى بتعاليم أزلية عن عدل ورحمة الله وعن خبث الإنسان والخلاص الممنوح للعادل »[1] .

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم ص ٥٥ .

ويعلق موريس بوكاي على هذا التبرير والتوجيه الخاطيء بقوله :

« بهذا يبرر لتحول أسطورة شعبية إلى حدث إلهي المستوى - ليعرض بعد ذلك على إيمان البشر . . . إن هذا الموقف المديحي يبرر كل تعسفات البشر فيما يختص بالأمور الإلهية ويغطي تعديلات البشر لتأليف نصوص التوراة ، إن كل تعديل يصبح مشروعا طالما كان هناك مرمى ديني ، بهذا الشكل تبرر تعديلات كتاب القرن السادس « الكهنوتيين » ذوي الإهتمامات التشريعية التي أدت إلى تلك الروايات الوهمية »[1] .

وأقول : إنه إذا كان وجود تراث شعبي ضمن ما يفترض أنه وحي إلهي أمرا غير مهم عند الأب « ديفو » فهذا ليس له معنى إلا الاستهتار بكتاب الله ووحية ، والمؤمن الحق يؤذي شعوره ويؤذي دينه تعمد خلط كلام الله بالأساطير الشعبية ، والمؤمن الصادق في إيمانه يتألم للمجانسة بين الكلام الحق الصادر عن الله تعالى وبين هذه الأساطير التي أكثرها بعيد عن الواقع والحقيقة ، وماذا يكون مهما إن لم يكن التلاعب في كتاب الله أمرا مهما بل أمرا مثيرا يجب معالجته ؟

وبعد :

فأيا ما كان الأمر ، ومهما كانت المبررات ، والتبريرات ، فلا يجوز الارتكان إلى سبب من الأسباب أو دافع من الدوافع لتحريف كتاب الله لأنه وحي إلهي نزل كاملا من الله تعالى على رسول صادق أمين .

وأياما كان الأمر فتبديل جملة في التوراة أو زيادتها أو إنقاصها أو تأويلها تأويلا يصرفها عن معناها الحقيقي الصحيح هو تحريف حرمه الله

---

(١) موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٥٥ .

سبحانه وتعالى ونهى عنه ، وهو تحريف يغير من طبيعة الكتاب الإلهي حيث يصبغه بالصبغة البشرية وتزول عنه صفة الوحي الإلهي والإلهام السماوي .

وأخيرا نقول لأهل التوراة وأصحابها ، لقد ثبت ثبوتا أكيدا ـ بإعتراف علمائكم ومفسري كتبكم ـ أن التوراة فيها الزيادة ، وفيها النقص ، فيها التضارب وفيها التناقض ، فيها الأخطاء وفيها الأغلاط ، وأنه لهذا كله لزم التصحيح في التوراة وتعديلها مرة بعد مرة تبعا للتغيرات التي طرأت على حياة بني إسرائيل سواء منها ماكانبأرض كنعان أو بأرض المنفى والتشرد ، فهل بعد هذا يكون مقبولا في العقل ما يقال عن صحة هذه التوراة وصدقها سندا ونقلا ، ونصا ومتنا ؟ وهل بعد هذا التحريف يطلب من الناس التصديق بهذه التوراة والإيمان بها والعمل بما فيها ؟

لقد تعرضت جميع نسخ التوراة للشك فيها والطعن في صحتها ، فأهل التوراة العبرية والمؤمنون بها يطعنون في صحة التوراة السامرية، والترجمة اليونانية ، وبالعكس ، فأهل التوراة السامرية واليونانية يطعنون في صحة التوراة العبرية ولو كانت هذه أو تلك وحيا سماويا ولم يدخلها التحريف والتزييف لما جرؤ هذا أو ذاك على الطعن في أي نسخة منها لأنه حينئذ لن يجد في كتاب الله ووحيه خطأ أو غلطا أو تناقضا ، وحيث استخرج كل فريق دلائل تحريف نسخة الفريق المخالف له أصبح أمرا مفروغا منه أن توراة اليوم ليست وحيا سماويا وإنما هي أفكار بشرية ، وصياغات إنسانية يعتريها الصدق والكذب، والصحة والخطأ، مثلها في هذا كأي كتاب تاريخي ، أوأساطير شعبية يمكن أن يدخله الخيال وتؤثر

فيه العادات والتقاليد والأهواء والأغراض التي تعتلج في نفس الكاتب أو الناسخ .

وإذا كانت التوراة بهذه المثابتة يعتريها الشك والوهم حينئذ تكون غير صالحة لأن تستمد منها العقائد وقواعد الدين وبخاصة ما يتعلق منها بقضية الألوهية وما جاء في هذه التوراة من أقوال باطلة عن ذات الله وصفاته ، وكذلك ما جاء فيها عن الرسل الكرام وما ذكرته هذه التوراة عن سلوكيات الرسل وأخلاقياتهم مما تأباه النفس البشرية العادية بله الرسل الذين اختارهم الله لهداية البشرية .

وأما موقفنا نحن المسلمين تجاه التوراة التي بأيدي الناس اليوم بعد أن تبين أن بها تحريفا وتزييفا ، فهو التوقف في الحكم على هذا النص الذي نأخذه منها ، ثم نعرضه على ميزان القرآن الكريم ـ لأنه الحكم والمهيمن على جميع الكتب السابقة والمصدق لها ـ فإن كان نص التوراة غير متعارض مع القرآن الكريم أخذنا به وصدقناه ، أما إن كان متعارضا مع نصوص القرآن طرحناه وراء ظهورنا ، فما هو إلا نص مما أضافه الكهنة أو لعبت فيه أيديهم بالتبديل أو الإسقاط أو التأويل ، فإن لم يتبين لنا وجه الحق فيه قلنا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد .

تعقيب

قد يعترض البعض على هذه النتائج التي توصلنا إليها والتي أصبحت من البديهيات عند علماء المسلمين بقوله :

كيف يكون هذا والقرآن الكريم نفسه قد اعترف بصحة التوراة وكفاءتها في هداية الناس ، وإصلاح عقيدتهم ونفوسهم حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1]

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2]

والجواب على هذا :

أن القرآن الكريم حين طالب بني إسرائيل بالتمسك بالتوراة والاحتكام إليها إنما يدعو إلى التمسك بالتوراة الأصل التي نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وحيا إلهيا لم تلعب بها يد الإنسان المؤمن أو الكافر كما كان بعد موسى عليه السلام ، من كتابة توراة وادعاء نسبتها إلى موسى والزعم بأنها كتبت بطريق الإلهام، والإلهام منها براء .

وقد تكون هناك نسخة صحيحة[3] في ذلك الوقت وقد أخفوها لئلا

---

(١) المائدة / ٤٣ .

(٢) المائدة / ٤٤ .

(٣) هذا إفتراض عقلي فقط ، وحتى لو أجزنا وجود نسخة واحدة صحيحة ، فهي في نظر الاسلام تعتبر محرفة ، ليس عن طريق التبديل أو الزيادة أو النقص ، ولكن عن طريق كتمان الحق وإخفائه ، وهذا مما نعاه القرآن عليهم .

يلتزموا بما فيها من أحكام فأمرهم الله بإظهارها والحكم بما فيها ، أو أن التوراة التي بأيديهم مازالت بها بعض الأحكام والعقائد الصحيحة فلو حكموا بهذا القدر الصحيح فقد يعودون إلى الله ويقيمون كتابه ويعترفون برسوليه : عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وينفون عن الله كل مالا يليق بجلاله وكماله .

والقرآن حين وصف التوراة بالتحريف والتبديل ، فهذا الحكم صادق عليها باعتبار النسخ المحرفة أو التي وقع في بعضها هذا التحريف والتبديل .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

وإذ انتهينا من دراسة التوراة في سندها ومتنها ، وثبت بالأدلة ، وباعترافات المفسرين لهذه التوراة ، أنها ليست إلهامية ، وأنها تعرضت للحرق والتمزيق والضياع مرات ومرات ، إذ ثبت هذا فإن ذلك يعني :

أن التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام كانت صحيحة في سندها ومتنها ، وقد وضع موسى ـ عليه السلام ـ الضوابط والقواعد التي بها يمكن المحافظة على هذه التوراة ، ولكن أهلها قصروا ، إما لعدم حفظهم لها ، أو بارتدادهم عن الإيمان في فترات كثيرة ، أو بسبب النوازل التي نزلت ببني إسرائيل والدمار الذي حل بديارهم ومعابدهم وهياكلهم .

وبسبب هذه الظروف ـ التي ذكرناها آنفا ـ أصبحت هذه التوراة بعيدة الصلة عن التوراة التي نزلت على موسى وحيا إلهيا من رب العالمين ، فالتوراة التي نزلت على موسى لاشك دعت إلى وحدانية الله تعالى ، والواحد في ذاته يكون واحدا في صفاته لا يشاركه فيها أحد ولا يماثله فيها مخلوق ، ولكن توراة اليوم نسبت إلى الله صفات الإنسان الضعيف المستذل الذي يبكي على ما كان منه خزيا وعارا .

أما دعوى الإلهام فيما كتبه حلقيا أو عزرا فهي دعوى كاذبة باطلة لأن ظروف الدمار والحرب التي مرت بها المنطقة قبل حلقيا وبعده ، والكفر الذي عاشه بنو إسرائيل سنين كثيرة يحيلان عقلا وجود توراة موسى بعد ذلك ، وقد أشرنا في ثنايا البحث إلى الأخطاء التي وقعت من عزرا في سفر أخبار الأيام مما ينتفي معه تحقق الإلهام عند هذا أو ذاك .

وهـذه التوراة التي ثبت دخـول التحـريف والتـزييف إليهـا لم تعـد صالحة لأن تكون كتابا دينيا يصلح المجتمع ويقود الأمـة ، وينير الـطريق أمـام الحيارى والضـالين عن الـطريق المستقيم ، وما هي إلا كتـاب ضم تـاريخ بني إسـرائيل وأسـاطيرهم الشعبيـة وآدابهم وملاحمهم سـطرته يـد بشرية لها أغراضها وأهواؤها ، فانحرفوا بها عن جادة الصواب والصراط المستقيم .

وإذا كانت التوراة بهذه الصورة فنحن المسلمين ندعو بني إسرائيـل أن يفكروا ويدرسوا الإسلام بحياد تام ، وحينئـذ سيرون الحق فيـوجهوا ناصيتهم نحو الطريق المستقيم الذي خـطه الله في كتابـه الحكيم « القرآن الكريم » فهو الكتـاب الذي لم يتبـدل ولم يتغير فـلا يقول إلا حقـا ، ولا ينطق إلا صدقا

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾[1] .

---

(١) سورة الإسراء : ٩/ ١٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المراجع

١ ـ ابن حزم	الفصل في الملل والأهواء والنحل
٢ ـ ابن القيم	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان
٣ ـ ابن القيم	هداية الحيارى
٤ ـ ابن كثير	تفسير القرآن العظيم
٥ ـ أبوحيان	البحر المحيط
٦ ـ أحمد بن المنير	الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال
٧ ـ رحمة الله الهندي	إظهار الحق
٨ ـ الزمخشري	الكشاف عن حقائق التنزيل
٩ ـ الشهرستاني	الملل والنحل
١٠ ـ الطبري	تاريخ الطبري
١١ ـ عباس محمود العقاد	الله
١٢ ـ د/ فؤاد حسنين علي	التوراة الهيروغليفية
١٣ ـ محمد عزة دروزة	القرآن والمبشرون
١٤ ـ موريس بوكاي	القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم
١٥ ـ ول ديورانت	قصة الحضارة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمـــة ٥
حديث القرآن عن التوراة التي نزلت على موسى ٨
موقف المسلم من التوراة ١٣
تاريخ التوراة ١٥
أولاً : توراة موسى ١٥
سفر التكوين ٢٠
سفر الخروج ٢٢
سفر اللاويين ٢٣
سفـر العدد ٢٣
سفر التثنية ٢٤
ثانياً : توراة حلقيا ٢٦
ثالثاً : توراة عزرا ٣٠
التورةا سندا ونقلا ٣٧
مصادر التوراة ٤٦
الأسفار الخمسة سندا ومصدرا ٥١
التوراة نصا ومتنا ٦٤
براهين وشواهد التحريف في التوراة ٦٨
أنواع التحريف التي نسبها القرآن إلى التوراة ٧٤

فلسفة التحريف ١٠٢
تعقيب ١١٤
خاتمة ١١٦
المراجع ١١٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com